الكيان الصّهيوني في أسبوعين

الكيان الصّهيوني في أسبوعين

وعاد الى تقديراته بانه لايتوقع حربا قريبة بين اسرائيل ومصر .

اسرائيل عبري الساعة ٩،٠٠ : كتب المعلق جاك اندرسون اليوم في صحيفة واشنطن بوست ان الرئيس فورد يرى في التدخل العسكري الامريكي آخر امكانية من أجل منع ضائقة النفط والازمة الاقتصادية والتدهورات العسكرية . الخبراء في واشنطن يعتقدون بان الاتحاد السوفييتي لن يتدخل في أي عملية عسكرية يقوم بها الامريكيون بهذا الشأن . واضاف المعلق ، ان ليبيا هي الهدف الملائم للتدخل وكذلك فان الحديث يدور من اجل اعطاء اسرائيل الضوء الاخضر للاستيلاء على حقول النفط في الكويت .

اسرائيل عبري الساعة ٢٤،٠٠ : ذكر وزير الاعلام أهرون يريف ان الدكتور هنري كيسنجر سيعود لاجراء جولة اخرى من المحادثات في الشرق الاوسط في الشهرالقادم وعندها سيتضح فيما اذا كان سينجح في خطة المحادثات بين العرب واسرائيل . وعلى الرغم من تعقد الوضع فان امكانات التقدم خطوة بعد خطوة لاتزال مامولة .

١٩٧٤/١١/٩

اذاعة اسرائيل عبري الساعة ٢٢،٠٠ : ذكر السفير الاسرائيلي في باريس آشر بن ناتان أنه على الرغم من وجود خلافات بين اسرائيل وفرنسا فان ذلك لايمنع حدوث تطور ايجابي في العلاقات بين البلدين ، وعن ادعاءات الصحفيين فيفرنسامن ان وداع سوفنيارغ في اسرائيل كان باردا ، أعلن ان وزير الخارجية الفرنسية غادر البلاد يوم السبت والعادة في اسرائيل هي عدم اجراء طقوس رسمية يوم السبت .

اذاعة اسرائيل عبري الساعة ٢١،٠٠ : ذكر رئيس ادارة الوكالة اليهودية بنحاس سبير مساء اليوم في الولايات المتحدة انه يتطلع الى زيادة عدد المهاجرين من الولايات المتحدة الى ثمانية آلاف في العام . وكرر موقفه انه مقابل السلام يجب على اسرائيل ان تتخلى عن معظم المناطق المحتلة . واعرب عنارتياحه من انضمام حزبالمفدالالديني الى الحكومة.

اذاعة اسرائيل عبري الساعة١٨،٠٠:اعتقلت قوات الامن في نابلس ٣٥٠ شخصا في أعقاب مقتل المواطن الاسرائيلي ظهر اليوم . وفي شهر ايلول قتل في ظروف مشابهة مواطن أسرائيلي في سوق مدينة جنين .

١٩٧٤/١١/١٠

هتسوفيه : في منتصف الليلة الماضية ولد الهبوط السابع لليرة الاسرائيلية . وتاريخ هبوط الليرة الى الان كالاتي أ في آب ١٩٤٩ نغيرت قيمة الدولار من ٢٥ اغورا الى ٣٥ في شباط ١٩٥٢ انخفضت قيمة الليرة من ٣٥ أغورا الى ليرة واحدة للدولار . في أيار ١٩٥٣ ثبتت الليرة على سعر ١.٨ اغورات للدولار . في شباط ١٩٦٢ خفضت الليرة من ١.٨ اغورات للدولار الى ٣ ليرات اسرائيلية للدولار . في تشرين الثاني ١٩٦٧ ارتفع سعر الدولار الى ٣.٥ اغوراتلليرة . في آب ١٩٧١ نفذ التخفيض الى ٤.٢ أغورا اسرائيلية للدولار . والان أصبح سعر الدولار ٦ ليرات أسرائيلية (١٠٠ أغورا تساوي ليرة اسرائيلية. المحرر) .

عل همشمار : في أعقاب تخفيض سعر الليرة يجب توقع الغلاء العام وهبوط كبير في مستوى المعيشة ، وبموجب اقتراحوزارة الاقتصاد الذي قدم الى الهستدروتسوف لاتعطى تعويضات في اطار زيادة الغلاء . والتعويضات ستعطى فقط للمحتاجين . والتخفيض سوف يرفع سعر مواد مختلفة الى عشرات بالمئة ومئات بالمئة .

● صرح اسحاق رابين فيمجلسالكيبوتس الموحد عن فشل اسرائيل باقناع الصين الشعبية بتغيير سياستها المضادة لاسرائيل، لان زعيمها شوان لاي غير مستعد للاعتراف بحقوق الشعب الاسرائيلي بارض اسرائيل ، كما أنه كشف النقاب أيضا عن الشخصية التي كانت قد قامت بالوساطة ، وهو احد الزعماء الاشتراكيين الايطاليين . وعلل الزعيم الصيني رفضه بقوله : اذا أردنا ان نوافق على أعادة كل شعب الى البلد الذي كان يسكنه قبل ١٩٠٠ سنة فاننا سوف نخلق بهذا فوضى ومتاهة بكل التاريخ الانساني.

١٩٧٤/١١/١١

دافار : صرح وزير الاقتصاد الاسرائيلي بأن اسرائيل لا تستطيع تجنيد الاموال التي تبلغ قيمتها ٤ مليارات دولار سنويا .

● غادر اسرائيل دون عودة الى بلجيكا المهندس كازاكوف احد المهندسين التسعة الاوائل الذين تظاهروا في موسكو مطالبين بالهجرة الى اسرائيل . وتعود اسبابهجرته من اسرائيل لعدم وجود عمل له وللفشل باستيعابه بصورة لائقة . وقد صرح هذا المهندس قبل هجرته من اسرائيل بانه كان يعمل في موسكو في مكتب تخطيط المواصلات البرية والبحرية والجوية .

١٩٧٤/١١/١١

جروزلم بوست : شحنت الولاياتالمتحدة لاسرائيل ٤٥٠ دبابة منذ حرب يوم الغفران وسيتم شحن ٢٥٠ دبابة أخرى من طراز م ٦٠ ، م = ٤٨٢٣ في الصيف القادم .

١٩٧٤/١١/١٢

هموديع : شب حريق في المجمع الصناعي « مركزيم » فجر أمس في تل أبيب . بلغت خسارته مانيف على مليون ليرة اسرائيلية. وقد صرحت الشرطة بأن الحريق كان متعمدا ومن فعل اشخاص مجهولين .

هشوفيه : كرايسكي مستشار النمسا يقول: يجب أعطاء الفرصة لمنظمة التحرير كي تثبت مسؤوليتها .

١٩٧٤/١١/١٣

اذاعة اسرائيل عبري . الساعة ٦،٦ : اجتمع سفير اسرائيل في واشنطن سيمحا دينتس مساء أمس مع وزير الدفاع الامريكي شليزنجر ومن المعتقد انهما ناقشا الصفقة العسكرية الاسرائيلية من الولايات المتحدة الامريكية .

اسرائيل عبري الساعة٦،٦:يفيد مراسلنا في واشنطن ان الولايات المتحدة الامريكية ستعرب لاسرائيل عن اعتقادها بان الباب مازال مفتوحا أمام اتفاقية جديدة بين اسرائيل ومصر ، حتىفيأعقاب مؤتمرالرباط.

الأرض



نشرة تحليلية نصف شهرية تصدر عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية

AL-ARD A Bi-weekly Analytical Bulletin Published by(A.I.P.S)

السنة الثانية العدد (٦) ٧/ ١٢/ ١٩٧٤ .

Vol. 2 No (6) December / 7 / 1974.

نشرة تحليلية تصدر مرتين في الشهر ، وتتابع ما يتعلق بالشعب العربي الفلسطيني وقضيته التي هي قضية الامة العربية الاولى .

هدفها خدمة ذوي الشأن والاختصاص والاسهام بجهد متواضع في مساعدة الاعلام العربي على تثقيف الرأي العام الثقافة الصحيحة بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية .

وهيئة التحرير تعتمد المصادر الاسرائيليةبالذات، تدرسها وتحللها باقصى قدر من الموضوعية ،مستفيدة من معرفةاعضائها وخبرتهم بشؤون التجمع الاستيطاني الاسرائيلي ولغته وتركيبه .

مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية
ص.ب. ٣٣٩٢
دمشق
الجمهورية العربية السورية
هاتف : ٥٥١٠٨٧
٥٥١٣٩٨
برقيا : الارض



AL-ARD Institute
For Palestine Studies
P.o. Box 3392
Damascus - S. A. R.
Tel. : 551087
551398
Cable : ARD

في هذا العدد

مقالات تحليلية

٢ ـ ١٥ : الخلفية السياسية لزيارة كيسنجر الاخيرة والتسويات المرتقبة

١٦ ـ ٢٢ : ظاهرتا الازمة والحرب في الكيان الصهيوني .

٢٣ ـ ٢٧ : المأزق الاسرائيلي تجاه التمثيل الفلسطيني

٢٨ ـ ٣٠ : الحديث عن الاستعدادات العسكرية الصهيونية .

الملحق : مقالات مترجمة عن الصحف العبرية :

٣١ ـ ٣٨ : تحصينات ام ملاجئ
نحو احتمال حدوث جولة جديدة .
ماذا سيكون السبب المباشر للحرب
ملء فراغ .
جهاز الاعلام الوحيد

٣٩ ـ ٤٠ الكيان الصهيوني في اسبوعين .

الصورة على الغلاف : بحيرة الجليل ـ طبريا ـ

الخلفيّة السّياسيّة لزيارة كيسنجر الأخيرة والتسويات المرتقبة

نجح الدكتور هنري كيسنجر بعد التوصل الى اتفاقية فصل القوات على الجبهتين السورية والمصرية بالحصول على لقب « ساحر » عن جدارة ، اذ كانت الامور تبدو يومها أصعب من أن يتوصل معها الى حل . على أن هذا النجاح أخذ يخبو لمعانه رويدا رويدا ، ليس لان « ساحر » الصيغ الكلامية ، قد عجز عن أيجاد صيغة جديدة ، يتم بموجبها التوصل الى احرازات جديدة ، بل لان صلب المشكلة التي يدور من حولها وبسببها الصراع ، يفرض هذا التراجع عندما تصل جميع الاطراف المعنية الىعصب القضية الحساس . فبالرغم من التطابق بين السياستين الاسرائيلية والامريكية في المنطقة ، هناك تمايز بين هاتين السياستين يظهر بين الحين والآخر عندما تصطدم الاستراتيجيةالامريكيةباستراتيجيةحركة التحرر العربي، وتصبح اسرائيل بسياستها الآنية حجر عثرة في سبيل هذه التسويات . وفي الوقت نفسه هناك تناقض بين الاستراتيجيةالامريكيةبالمنطقة واستراتيجية حركةالتحرر العربي في مرحلة من مراحل الصراع ، لا يمكن تجاوزه الا بتصفيةكلالعلاقات غير المتكافئة القائمة بينهما لغاية الآن. وهناك تصادم تناحري بينالصهيونية كفلسفة وقوةمادية، وبين حركة التحرر العربي ، لن ينتهي الا باستسلام احدى القوتين المتصادمتين نهائيا . هذا السبب يجعل جميع الاطراف يدورونفيفراغعندما يقتربون منالمناطقالخطرة، وهم يبحثون عن تسويات ، ليست في نهاية الامر الا هدفا على طريق الصراع الطويل .

في هذا البحث سنتعرض لهذه التسويات من مختلف الزوايا التي تنظر اليها الاطراف المعنية المتصارعة ، حتى نتوصل في النهاية الى قناعات حول مصير هذه التسويات التي تدبرها الامبريالية للمنطقة والتي هي أبعد ما تكون عن خدمة مصالح الشعب العربي الحقيقية .

كيسنجر وتحريك الوضع :

قال وزير خارجية « اسرائيل » لمحاوريه في واشنطن في الصيف الماضي ، وعلى رأسهم وزير الخارجية كيسنجر ، صراحة : اريدكم أن تعرفوا أنه حتى لو كان المقصود انسحابا اسرائيليا بمقدار سنتمتر واحد في أي صدد كان ، حتى في اطار تسوية جزئية — ستضطر اسرائيل للجوء الى انتخابات (١) .

وكان هذا بمناسبة طرح سيسكو فياحدى المحادثات الفكرة المسماة « انسحابا افقيا » — بنقيض « انسحاب عمودي » ، كما سميت المطالبة الاردنية بالانسحاب على امتداد نهر الاردن —التي تعرضت لقضاء اريحا ، بما في ذلك المدينة ، مع أن جوزيف سيكو لم يذكر اريحا صراحة . لقد شرح آلون للامريكيين بأنه لا معنى لان تجري اسرائيل انتخابات على تسوية جزئية ، واذا كان لابد من الانتخابات فالاجدر ان تكون حول تسوية شاملة .

ولقد نجح آلون في اقناع كيسنجر بأمرين :

١ — انه من الضروري السعي الى تقدم ، مع التأكيد على ان حكومة اسرائيل غير معنية بجمود جديد ، ولكن بدون الدخول « الى جري ارعن » كما عبر عن ذلك آلون نفسه .

٢ — ان اسرائيل لن توافق على الانسحاب من القطاع على امتداد نهر الاردن باي شكل من الاشكال .

ونجح كيسنجر في اقناع آلون في موضوع واحد ، وهو أن فكرة « التسوية الوظيفية » هذه — أي التسوية الجزئية التي أساسها اعادة ادارة مدنية للاردن بينما تستمر السلطة العسكرية من جانب اسرائيل في الضفة الغربية — ليست واردة في الحسبان ، لان العرب لن يوافقوا عليها .

(١) المعلومات من معريب ١٦ — ٨ — ١٩٧٤ .

لقد كان آلون أكثر صراحة من زميله الامريكي ، حيث وجد في عرض كيسنجر هذا ، تنازلا تدريجيا واسرائيل « لا يسعها الموافقة على تكتيك معناه تنازل تدريجي » . ولذلك فقد باع زميله الفاظا لا دلالة لها ، الا تخدير الرأي العام ، وغلفها بعبارات ان اسرائيل معنية بالتقدم نحو تسوية ولكن بدون « الجرى الارعن » نحو هذه التسوية .

ولكن كيسنجر كان يريد تحقيق هدف ، وان كان يبدو مختلفا عن الهدف الاسرائيلي ، الا انه يلتقي في النهاية مع المصلحة الاسرائيلية . ان كيسنجر يؤمن بأن التسوية الجزئية مع الاردن من شأنها ان تعطي اسرائيل مهلة زمنية ، ومقدرة على مجابهة مصر في اطار محادثات المرحلة الثانية ، وفي ظروف اكثر ملاءمة لها في هذه المرحلة . لكن الاسرائيليين يعتقدون بأن كيسنجر لا يحل بهذه الدبلوماسية المشاكل ، وانما يؤجلها . ويستشهدون على ذلك بمواقفه من محادثات فصل القوات على الجبهة السورية ، والانسحاب من القنيطرة .

يقول انصار كيسنجرمن بين رجالات «دولة اسرائيل» بأنه الى جانب قدرته على التوصل الى انجازات عملية، يعرف أيضا كيف يرسم احلاما وردية سرعان ما تتلاشى وتتبدد . تقول احدى الشخصيات الاسرائيلية ، ان كيسنجر نجح في « تخدير » الاسرائيليين ، حينما اجرى معهم المفاوضات ، حول فصل القوات في الجبهةالسورية، قال لرئيسة الحكومة حينذاك ولطاقم وزرائها الذين اشتركوا في المحادثات : « وقعوا فقط على القنيطرة ولن تروني لمدة عام ونصف » (٢) .

مغزى خطوة كيسنجر :

لقد اراد كيسنجر من وراء خطوته تلك ، الوصول الى عدة اهداف ، منها :

١ — تعزيز الاحساس لدى الاسرائيليين ، بأنه بعد التوقيع على القنيطرة ستعطى لهم مرحلة هدوء طويلة ، من أجل التعبئة المجددة في الساحة السياسية، وخاصة في الساحة العسكرية . وفعلا كان معيار تنظيم الجيش وتعزيزه احد المعايير المحترمة التي دفعت جولدا مئير وجماعة من الوزراء للتنازل عن القنيطرة .

وحتى يصل كيسنجر الى الهدف الثاني — وهو الاهم — فقد وصف الامور على الوجه التالي : اذا انسحبتم من القنيطرة ، فان مصر لن تضغط في المرحلة المقبلة لانها ستكون منهمكة بتعمير مدن القناة . صحيح أن سورية ستصرخ لكنها لن تخرج للحرب .

والاردن ليست مسألته ملحة لانها لا تتضمن المادة المتفجرة التي كانت قائمة على الجبهتين المصرية والسورية ، حيث كانت هناك عملية فصل القوات من متطلبات الواقع ، وبدونها كان من شأن الصدام أن يكون أمرا بديهيا . وهنا قفز الى الهدف الثاني من وراء خطوته فقال : في وضع كهذا ، **سيتدفق النفط ، ولن تتعرضوا بعد للضغوط** .

لقد وقعت اسرائيل على الاتفاقية ، لكن حلمها بأن تنتظر سنة ونصف سنة اخرى لم يتحقق ، فقد عاد كيسنجر مرة ثانية ، تحت حجة أخرى ، ليحرك الوضع المتجمد . وقد مهد لهذا التحرك ، الحديث الذي أدلى به وزير المالية ، وليام سايمون في أواسط شهر آب (أغسطس) ، عن الخطر من أن يلجأ العرب ثانية لسلاح النفط . وكذلك فان رجال الحكم الامريكيين الذين تحدث معهم يغال آلون أثناء زيارته في واشنطن أفهموه بأنهم يخشون من احياء الجبهةالشرقية،حيث من المحتمل في هذه المرة ، أن تنضم الاردن عمليا الى مغامرةعسكرية ، بالاشتراك مع سورية . واذا حدث فعلا ونشبت حرب كهذه ، فانه من المحتمل ايضا أن تنجر مصر اليها — هكذا يظن الامريكيون ، مصر أيضا .

وفي سبيل ان يقطع كيسنجر الدرب على احياء الجبهة الشرقية ، وجر مصر للحرب مجددا ، فانه استهدف كسب الوقت عن طريق الحاجة الى « حركة »، ولو كانت مسرحية . ولذلك فقد عرض على اسرائيل الامور كالآتي : اذا كانت محادثات بين اسرائيل والاردن غير ممكنة حاليا ، نظرا لتخوف رابين من الانتخابات ، فانه يتحتم على اسرائيل ان تجري محادثات أخرى مع مصر . وان تجري انسحابات أخرى . ولكن هنا اسرائيل وجدت أيضا بانه لن يمكنها تطبيق هذه السياسة بدون الحصول على مكاسب من مصر : على الاقل ان يضمن لها سلام (واقعي) ، خاصة وان مصر غير مستعدة حتى لمثل هذا السلام ، لا بل على العكس ، فانها تصرح بانه ما لم تلتزم اسرائيل بالانسحاب الى الحدود الدولية : فان مصر لن توافق على السلام — ولا حتى « سلام » من النوع الذي ترمي اليه ، الذي ما هو الا هدنة .

الا ان كيسنجر بقي على ما هو عليه . (هناك حاجة الى « حركة ») ، من المحظور ان يبقىالوضعالقائم ،ينبغي التحاور مع الاردن أو معمصر ، أو مع كلتيهما فيآن معا .

واقترح كيسنجر للخروج من هذا الجمود — اذا كانت اسرائيل لا توافق على الدخول في مفاوضات مع الاردن — ان تطرح واشنطن تسوية لحل جزئي : انتخرج اسرائيل من اريحا ، لكن دون ان يدخلها الاردن ، انما ترابط بها قوات الامم المتحدة ، وتعود اليها الادارة الاردنية المدنية . الا أن رابين يرى في هذا العرض أيضا ،

(٢) — المصدر السابق .

تنازلا اقليميا عن قسم من الضفة الغربية ، الامر الذي يستوجب اجراء انتخابات .

لماذا تهتم واشنطن بالاردن ؟

بالرغم من الانسجام الاستراتيجي بين واشنطن واسرائيل الا ان اختلافات جانبية تبرز بينهما ، خاصة على الخطوات التكتيكية. وقد فسر هذا التمايز البرقيات المتبادلة بين كيسنجر وآلون ، عقب البيان الصادر عن فورد ـ حسين ، في أعقاب زيارة الاخير لواشنطن في الصيف الماضي . قال آلون في برقية مستعجلة الى كيسنجر(٣) : « يؤسفني انك تجاوزت التفاهم والاتفاقات التي توصلنا اليها في محادثاتنا في واشنطن » .

وأجاب كيسنجر : « انني لم اتجاوز ما اتفق عليه في محادثاتنا ... وفي المستقبل أيضا ، لن نتوصل الى اتفاقيات وتلخيصات ، مع أي جهة عربية كانت ، بدون ان نتشاور معكم أولا » .

ويلمس في برقية كيسنجر تطمين اسرائيل ، الا ان وزير الخارجية آلون الذي أحس بانه خدع ، يحاول انقاذ ما يمكن انقاذه ، ولذلك يقترح ان تشطب من البيان الاردني ـ الامريكي ، على الاقل ، العبارة التي تتحدث عن « فصل القوات » ، لان لها تفسيرا أردنيا واحدا ووحيدا ـ الانسحاب على امتداد نهر الاردن ـ وعوضا عن هذا يقال : ان الولايات المتحدة ستعمل في سبيل اتفاقية سلام بين الاردن واسرائيل ، لكن جهوده ذهبت سدى » . وردد كيسنجر بانه لم تعط لحسين أي التزامات ، واذا حللت اسرائيل البيان يمكنها ان تدرك ، ان كل ما قيل فيه ، هو انه تم الاتفاق على أن تجري « مشاورات » ، بدون ان يحدد موعد معروف ، أو موعد مسبق وملائم .

لماذا وعدت اذن امريكا الملك حسينا بفصل القوات ؟ هذا الوعد كان له سبب واحد حسب مفهوم كيسنجر : « هذا هو الحد الادنى الذي كان بالامكان اعطاؤه لحسين في ختام زيارته للولايات المتحدة ومحادثاته مع الرئيس ، على ضوء وضعه المتأزم في العالم العربي، وبسبب الضرورة لتعزيز مكانته في نظر سكان الضفة الغربية ، مقابل الفلسطينيين(٤) » . والحقيقة ان كيسنجر في برقيته الى آلون اراد ان يفهمه بانه لا يعني الموافقة على خطة الاردن لفصل القوات « العمودية » ، بل هناك خطط كثيرة لمثل هذا الفصل .

وتتوسل السياسة الامريكية للوصول الى هذا الهدف التكتيكي ، الاكثار من الحديث أمام الاسرائيليين عن مطالب دمشق . يقول دان مرغليت(٥) : « واذا كانوا (أي رجال الخارجية الامريكان) يكثرون من الحديث عن مطالب دمشق ، فان السبب الكامن وراء هذا في حقيقة الامر ، هو الوصول الى « التسوية » التي هي غايتهم سلفا : المفاوضات مع الاردن . واذا ابتاع رابين الصفقة فانه سيقتني بالضبط البضاعة التي يريد الامريكيون بيعها » .

وتسعى امريكا لاقناع اسرائيل بهذه الخطوة للخروج من المأزق ، ولاخراج رابين أيضا من المأزق نفسه ، لان تجميد القضية ليس من مصالح الطرفين ، وكلما قلب الخبراء في القضية آراءهم فانه لا يسعهم الا العودة الى فكرة المراحل ـ الفكرة التي يمكنها ان تضمن نجاح المفاوضات ، من وجهة نظر امريكا ـ والتي ربما كانت الباب الوحيد لبداية المحادثات بحد ذاتها . وتركز امريكا في محادثات المراحل على أمرين :

١ ـ مفاوضات حول انسحاب جزئي من الضفة الغربية ، وقد عاد كيسنجر في بداية أيلول (سبتمبر) ، الى الفكرة التي اقترحها سابقا على يفال آلون ، بشأن تسوية جزئية ، وفصل قوات ، بمعنى : انسحاب الجيش الاسرائيلي من اريحا ، وادارة أردنية مستقلة في نابلس ، بدون انسحاب عسكري اسرائيلي من منطقة السامرة (منطقة نابلس) ، أو فقط مجرد انسحاب رمزي .

٢ ـ وتعتقد امريكا بأن الانسحاب من الضفة الغربية لن ينفذ طالما لم تحرز اتفاقية حول انسحاب اضافي من سيناء . وحينما تحرز هذه الاتفاقية ، ستستعد اسرائيل لانتخابات عامة حول الموضوعين . وعلى حسب رأي مختلف الامريكيين ، فان هذه هي التسوية الوحيدة المريحة لحسين وللسادات غير المستعد للانتظار أكثر من اللازم ، ولرابين ايضا الذي يريد ارجاء الانتخابات ، وعدم اجرائها على أي حال فوق أرضية انسحاب من الضفة الغربية فقط . واما دمشق التي « يكثرون من الحديث عن مطالبها » فيكون قد جرى عزلها وجمدت انسحابات اضافية من هضبتها المحتلة .

وهناك دلائل تشير الى اخذ رابين بهذا الاتجاه ، بدليل تخليه عن صداقته ليسرائيل حليلي المتشدد، وميله الى حاييم تسادوك في المدة الاخيرة . ويعتقد بعض الامريكيين على ضوء استقرار حكومة رابين النسبي، وعلى ضوء وجود مجموعة من الوزراء مثل حاييم تسادوك ويفال آلون ، التي تريد تقديم المفاوضات مع الاردن ، بان يتسحاق رابين سوف يستجيب لقبول هذه الفكرة ، وان لم يكن بحماس بالغ(٦) .

ونميل للاخذ بهذا الرأي ، اذا علمنا بانه ينسجم تماما مع استراتيجية امريكا في الشرق الاوسط ، الداعية الى المحافظة على كيان المملكة الاردنية الهاشمية ، لاسباب لا يتسع المجال لذكرها هنا. وقد عبرت هذه السياسة عن

(٣) ـ معريب ، ١٩٧٤/٨/٢٣ . (٤) ـ المصدر السابق . (٥) ـ هآرتس ، ١٩٧٤/٩/٤ . (٦) ـ المصدر السابق .

نفسها ـ بالرغم من اصطدامها بتعنت اسرائيل ورفضها ـ في « مشروع روجرز » ، وبالطريقة التي تحدثت بها الولايات المتحدة عنه مع اسرائيل . كان هذا في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، بمناسبة زيارة جولدا مئير ، رئيسة الوزراء حينذاك للبيت الابيض ، بعد توليتها رئاسة الوزراء في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . ولم يدل لها بشيء عن المشروع الامريكي للتسوية في الشرق الاوسط الذي كان على وشك ان ينشر في غضون فترة قصيرة . ومع انه بحث يومها في تفاصيل التسوية مع مصر ، الا ان وزير خارجية امريكا لم يتحدث حينئذ عن الاردن مطلقا. ولكن بعد مضي خمسة أيام على مغادرة ايبان لواشنطن ، وبينما كان في لندن ، في طريق عودته الى اسرائيل ، اعلن « مشروع روجرز » حيال الاردن . يتضح انه حينما تحدث روجرز مع ايبان ولم يدل له بشيء عن النوايا الحقيقية لواشنطن حيال الاردن ، كانت مسودة مشروعه في جيبه . وقد اقترحت الولايات المتحدة في المشروع نفسه ان تكون حدود السلام بين الاردن واسرائيل تقريبا خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ . (جرى الحديث ايضا عن مكانة القدس ـ تجريد مناطق من السلاح ومكانة قطاع غزة ، الذي من المقرر تسليمه للاردن لكي يتاح له مخرج للبحر) .

ان ما تقوم به الولايات المتحدة من مناورات وتكتكات على الجبهة الاردنية ، لا يخدم نجاح المفاوضات الامريكية فحسب ، بل هو من صلب الاستراتيجية الامريكية في المنطقة . ومنذ ذلك الحين لم يلاحظ تغيير جذري في موقف الولايات المتحدة هذا حيال الاردن ، بل بالعكس ، فمن مرة لاخرى ، يعود وزير الخارجية الحالي ، هنري كيسنجر في مناسبات مغلقة ويكرر النظرية اياها(٧) . هكذا انه ، مثلا ، عبر قبل ما يقارب من العام في جلسة مغلقة للجنة الخارجية المنبثقة عن مجلس الشيوخ (عن طريق البحث في استراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ابان مؤتمر جنيف)، بقوله : ان التسوية النهائية بين اسرائيل وبين الدول العربية يجب أن تشمل انسحابا اسرائيليا نحو خطوط عام ١٩٦٧ . ومع أن كلمة « نحو » لا تعني بالضبط خطوط عام ١٩٦٧ ، انما تترك محلا لتعديلات صغيرة، لكنها تعني من البديهي انسحابا شبه كلي عن الضفة الغربية . من الناحية العملية لم يتبدل أي شيء في السياسة الامريكية ـ لا في المضمون ولا في الشكل .

تخوف رابين من محادثات الاردن ومصر :

لقد بذل يتسحاق رابين في بداية طريقه كرئيس للوزراء كل مجهود من أجل تحاشي الالتزامات المسبقة في أي موضوع في المجال السياسي . ولقد كان من الصعب جدا معرفة آرائه ومواقفه من الاتصالات السياسية في المنطقة من خلال خطابه الاول حينما قدم حكومته .

وهذا لا يعني ان رابين في أية مرحلة ، لم تكن لديه آراؤه الخاصة ، حول المراحل المرغوبة في الاتصالات مع مصر ، الاردن وسورية . ومع هذا فمما لا شك فيه بأنه منذ ان أصبح مرشحا جديا لرئاسة الحكومة ، والى أن بدأت آراؤه تتبلور ، مرت عليه مرحلة محاسبة ذاتية واختبار مجدد للمواقف .

بانتهاء هذه المرحلة ، بدأت أو طرأت تغييرات جوهرية على آراء رابين . هكذا مثلا ، لم يبق ذكر عن استعداده لزيارة غوش عتسيون مع تأشيرة دخول أردنية ، كما وقد تغيرت رؤيته للتسويات مع الرئيس السادات والملك حسين وتبدلت بشكل جذري . وفي غمار دينامية الدبلوماسية الدولية لم يكن بامكان رابين أن يحفظ بينه وبين نفسه ارتباطاته وقراراته ، حينما يكون الجميع من حول اسرائيل مشغولين بالمشاورات وفحص الطريق ، اذ أن سكوت رئيس الحكومة يفسر في الحقيقة بأنه ناجم عن بلبلة أو ضعف .

لهذا لم يكن باستطاعة رابين أن يتسارع حينما بدأت تنشر الاخبار الاولى عن تغيير في موقف واشنطن ازاء المفاوضات مع الاردن . ولم يكن بوسعه ان يصمت حينما بدأ الكلام عن فصل القوات مع الاردن . وبأقل من هذا ايضا كان باستطاعة رابين ان يملأ فمه بالماء ، حينما عاد وزير خارجيته آلون من واشنطن ، ببشريات غير سارة كثيرا عن شؤون الدعم الاقتصادي والامني من الولايات المتحدة . وهكذا انجر رابين الى وضع ـ نتيجة لقضية ـ اضطر معه أن يقطع على نفسه التزامات ربما كان عليه أن يدفعها في واشنطن فيما بعد . وتبرز من بينها أربعة التزامات(٨) .

(١) تقديم المفاوضات مع مصر على المفاوضات مع الاردن .

(٢) من الممكن فقط مع الاردن اجراء تسوية شاملة، وليس تسوية جزئية باي شكل من الاشكال . وعلى أي حال ليست تسوية جزئية ترتكز على تهادن اقليمي .

(٣) البديل الادنى الذي ستطلبه اسرائيل من مصر مقابل انسحاب آخر في سيناء . سيكون تصريحا متبادلا عن وقف حالة الحرب .

(٤) ان مدى استمرار الاتصالات السياسية ، ومدى استعداد اسرائيل لتنازلات أخرى ، يتوقف الى حد كبير على تلبية التزامات الولايات المتحدة الامريكية حيال الدعم الاقتصادي والامني لاسرائيل . وبرأي بعض الاسرائيليين

(٧) ـ معريب ، ٢٣ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ . (٨) ـ هآرتس ، ١٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٤ .

تعتبر هذه الالتزامات بمثابة سندات دين ثقيلة جدا، لأنه في الوقت الحالي لايوجد أي دليل يشير الى ان انسانا واحدا في واشنطن من بين الذين سيلتقي معهم رابين مستعد لتسهيل هذه المهمة عليه .

ان رابين سيواجه في واشنطن ميلا اردنيا بارزا ، وسياسة تدعو لحل سريع مع الملك حسين ـ وبالذات في أطار تسوية جزئية ترتكز على تهادن اقليمي ، التي رفضها ـ وذلك من أجل تحييد ياسر عرفات وزملائه .

وبالنسبة لمصر ، فأن رابين من المتوقع ان يسمع الف تعليل وتعليل من أجل تعديل موقفه من موضوع انهاء عاصر اللاحرب مع مصر .

ان واشنطن تعلم رأي يتسحاق رابين ، القاضي ان تكون المرحلة المقبلة محادثات بين اسرائيل ومصر وليس مع الاردن ، اولا وقبل كل شيء لأنه غير مستعد لاية تسوية معناها انسحاب ما في الضفة الغربية ، الا في اطار تسوية شاملة . وحتى اذا عادت الادارة المدنية فقط الى الضفة الغربية مع بقاء السيطرة العسكرية على كافة مناطق الضفة ، فأن هذا يستدعي انتخابات جديدة . كما أن الاردن من جهته غير مستعد للذهاب نحو تسوية جزئية مع اسرائيل ، الا اذا انسحبت من جزء من الضفة.

ولكن سياسة واشنطن مستمرة في اعتقادها بوجوب اجراء المفاوضات مع الاردن .

ولكن لماذا يصر رابين على عدم الانسحاب ؟

ان الانسحاب كما قلنا يستوجب اجراء انتخابات في اسرائيل ورابين ليس على استعداد في هذه المرحلة لاجراء الانتخابات وذلك للاسباب التالية :

(١) لايرى فائدة من التوجه للانتخابات ازاء الانسحاب العمودي «مشروع أريحا » ، وهناك اتفاق بهذا الشأن بينه وبين آلون .

(٢) لايمكنه ان يسمح لنفسه بمواجهة الانتخابات ، بينما موقفه كرئيس للحكومة لايزال ضعيفا .

(٣) ان الرصيد الذي جمعه لغاية الآن في حزبه لايكفيه ،وخاصة وان هناك مايسمى « التنظيم الكتلوي لحزب مباي » والذي يرى بـ « رابين » رئيس حكومة وليس رئيس حزب .

على ضوء هذا الواقع يظهر بأن هناك مغزى لبرقية رابين التي ارسلها مستعجلة الى آلون في واشنطن في حينه على الصعيدين الداخلي والخارجي .

وفي الواقع غير الامريكيون من توجههم على أثرها ، واصبحوا غير مستعدين للضغط على اسرائيل للسير في تسوية تنازل اقليمي للاردن ، وقد نجم هذا عن خشيتهم من ان خطوة كهذه من شأنها ان تزعزع الحكم في اسرائيل. وهذا آخر ما تبغيه الولايات المتحدة(٩) . الا أن المنطق يشير الى الاعتقاد ، بأن واشنطن ستحاول مع رابين اختبار حسنات المحادثات مع الاردن ، من خلال تعليل ، انه عن هذه الطريق ستتعزز مكانة الملك حسين أمام الفلسطينيين . وقد انتظرت الصحافة الاسرائيلية في حينه بأنه اذا لم يقتنع رابين بأنه من الجدير ان يكون دور الاردن التالي في المحادثات ، فسوف يود ـ كما يبدو ـ الرئيس فورد ووزير خارجيته كيسنجر، الحديث عن ماهية التسوية مع مصر خلال زيارة الرئيس السادات المنتظرة لـ «واشنطن » .

الهدف عزل سورية .

في محادثاته مع آلون وافق كيسنجر بصراحة ، انه « ليس هناك ما يمكن عرضه على السوريين بعد» .(١٠) لكن من المستبعد ان تكون هذه كلمة واشنطن الاخيرة ، الا اذا كانت مصر لن تشارك سورية اذا باشرت حربا لاتوافق عليها القاهرة . كما كانت سياسة واشنطن أن توضح لموسكو ، انها لن تترك اي جهة خارجية عن المنطقة تتدخل في الحرب السورية ـ الاسرائيلية اذا نشبت . وقد تعهد كيسنجر لاسرائيل أثناء محادثات فصل القوات بأن الولايات المتحدة ستقف الى جانب اسرائيل بكامل ثقلها السياسي، لكي تضمن عدم تلقي سورية تشجيعا اذا قررت الشروع بحرب جديدة .

ومن اجل عزل سورية ، كان كيسنجر يود اقناع رابين ، بأنه في سبيل تسهيل مهمة الولايات المتحدة ، ومهمة اسرائيل على حد سواء ، من الجدير عزل سورية عن طريق اجراء اتفاقية من شأنها تهدئة المصريين .

ولكن كيف يستقيم هذا الكلام ، مع مايسمع احيانا من واشنطن بأنها تمارس ضغوطا على اسرائيل لتنسحب انسحابات أضافية من هضبة الجولان؟ يقول دان مرغليت، موفد هآرتس في الولايات المتحدة (١١) :

هناك هوة كبيرة بين ماتسمعه القدس الرسمية من جهات امريكية وبين مايسمعه اسرائيليون ضيوف ورجال اتصالات غير رسميين يزورون امريكا فالامريكيون يسمعون الدبلوماسيين الاسرائيليين أقوالا مفادها أن السوريين « معتدلون » ومنطقيون الى حد ما ، بينما يقولون للاسرائيليين الذين لايتولون منصبا رسميا ، أقوالا تشعرهم بأنه من المحتمل ان تجدد سورية حرب الاستنزاف في القريب وربما قبل نهاية عام ١٩٧٤ .

(٩) معريب ، ١٩٧٤/٨/١٦ . (١٠) معريب ـ ١٩٧٤/٨/٢٣ . (١١) هآرتس ـ ١٩٧٤/٩/٤ .

وهذا الكلام المزدوج لايشير طبعا الى تناقض في الرأي الامريكي ، بل يدل على التكتيك الذي تتبعه امريكا للوصول الى اهدافها بالتسوية ، لأن كل أمريكي يقول رسميا لممثلي اسرائيل بأن سورية ستجدد اطلاق النار قريبا ، يكشف نفسه لضغط اسرائيلي من أجل الاسراع بتزويد اسرائيل بكميات كبيرة من الاسلحة الامريكية . لكن الاسرائيليين غير الرسميين ـ غير المفوضين بطلب سلاح أو دعم عسكري ، يمكن القول لهم ، بأنه اذا لم تقدم اسرائيل حلولا مقنعة وسريعة يكون من شأنها تهدئة سورية ، فأن دمشق من المحتمل ان تجدد الحرب . وهكذا يكون من الاسهل محاولة خلق ضغوط في اسرائيل نحو «تحرك سياسي» ترغب فيه امريكا .

ضغوط امريكية وهمية .

يبني الامريكيون خطواتهم الدبلوماسية هذه على الادعاءات : ان عدم ارضاء سورية ، من شأنه أن يطلق يد الاتحاد السوفييتي في تصعيد فكرة الحرب لدى السوريين . ويستهدفون من تجديد اطلاق النار أحياء مؤتمر جنيف الذي لاتحبذه أمريكا كثيرا . وفي الوقت نفسه لا تريد الولايات المتحدة خسارة علاقاتها المجددة مع سورية . ولكن هل هذا ضغط جدي أم نفسي ؟ مرة اخرى يقول موفد هآرتس (١٢) : « بقدر ما استطعت تلخيص المحادثات مع جهات امريكية واسرائيلية بقدر ما ظهر لي بأن « الضغط السوري » الممارس ضد اسرائيل عن طريق الولايات المتحدة ، هو ضغط نفسي في أساسه . في نهاية الامر ، لن يقترح كيسنجر على السفير الاسرائيلي في امريكا، سيمحادينتس ،أن يعتقد ويفكر، كمن يفكر بامكانية جدية للمفاوضات في القريب العاجل مع سورية . وليس طلب كيسنجر من اسرائيل الكلام حول انسحاب اضافي من هضبة الجولان السورية ، الا للاستهلاك المحلي ولاراحة الولايات المتحدة . وكان قد صرح رابين قبل انتخابه رئيسا للحكومة ـ وهو العالم ببواطن السياسات الامريكية ـ بأنه لن تحدث كارثة اذا تزحزحت بعض القرى من اماكنها في الجولان، مقابل سلام مع السوريين. ومن الواضح ان هذا الكلام للتمويه. ان كيسنجر يعلم قبل غيره أنه في مسألة الجولان تمنح المساندة ، في الرأي العام ، في مجلس الشيوخ وفي مجلس النواب ، الى اسرائيل .

ماهو الهدف الحقيقي للحديث الامريكي عن الموضوع السوري اذن ؟ ان وقوف الرأي العام في مجلس الشيوخ مع اسرائيل في كل مايتصل بهضبة الجولان من المحتمل ان يردع وزارة الخارجية عن منح أولوية للموضوع السوري . الا ان الامور ليست على هذا الشكل من التبسيط أيضا . فموظفو وزارة الخارجية يفهمون هذا الامر ـ واذا كانوا يكثرون من الحديث عن مطالب دمشق، فان السبب وراء هذا هو الوصول الى مفاوضات مع الاردن ، كما ألمحنا سابقا .

امكانات رابين في الوقت الحالي .

يمكن الافتراض ان موقف رابين الواضح في الموضوع الاردني الفلسطيني وعدم استعداده للسير نحو تسوية جزئية ، كان متأثرا الى درجة غير قليلة . بموقف الوزير يسرائيل جليلي الذي كان في ذلك الوقت (آب . اغسطس) أكثر مقرب لرئيس الحكومة في كل ما يتصل بهذا الموضوع (حاليا بدأ يميل نحو حاييم تسادوك .) لاشك أن تجربة جليلي والميثاق الذي عرف باسمه والذي دعا في حينه «للضم الزاحف» ، قد أثر على موقف رئيس الحكومة . لكن رابين يمتاز عن جليلي بمعرفة الساحة الامريكية جيدا عن كثب والخبرة بمراكز التأثير في واشنطن. ولسوف يحاول الاستفادة من التغييرات السياسية مع مقدم الرئيس فورد ، لارجاء التسويات وكسب الوقت أطول فترة ممكنة . صحيح أن فورد الذي كان يتحدث عن اسرائيل «كأحد الحصون الكبيرة» في الشرق الاوسط ضد تسلط الاتحاد السوفييتي عليه ، ومن هنا ينبعث واجب الولايات المتحدة بتأمين اسرائيل قوية ، وصحيح بأنه عندما سئل : ماهي الحدود الاقليمية التي تؤمن اسرائيل قوية قال : (١٣) « بالنسبة للتفاصيل كنت لاترك البت في حدود اسرائيل لاسرائيل انه قال هكذا ، ومن المشكوك فيه أن يبقى متمسكا بما قاله وصرح به قبل أن يصبح رئيسا يفرض عليه منصبه مسؤوليات من نوع آخر . ولذلك فأن اسرائيل كانت تنتظر فرصتها في انتخابات الكونغرس وثلث نواب مجلس الشيوخ ، التي جرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ، اذ بعدها تبدأ المعركة على رئاسة الولايات المتحدة . ويعتقد المعلقون الاسرائيليون بأنه اذا عرف رئيس الحكومة يتسحاق رابين توجيه الامور بحذر ، ضمن اطار تسارع الخطوات الامريكية في التسوية، فمن الممكن ان يكون في الانتخابات الامريكية مرساة انقاذ من انتخابات في ... اسرائيل .

الكلمة النهائية لواشنطن .

ان ماتريده واشنطن هو الذي يتم في النهاية بالنسبة لاسرائيل . فمهما ارتفعت حدة الجدل بين الامريكيين والاسرائيليين ، فأن القول الفصل يبقى للامريكيين . ان معاملة واشنطن لاسرائيل اذا أعدنا التدقيق فيها تدل على انها تضعها دائما أمام حقائق منتهية ، ثم تقوم بتهدئة روعها بعد القيام بالعمل .

هكذا حدث بالاتفاقية المصرية الامريكية لاقامة الفرن النووي ، وهكذا باغتت وزير الخارجية يغال آلون ببيان فورد وحسين ، وقبله سلفه ابا ايبان بمشروع روجرز وموقفه من التسوية مع الاردن . وقد اتسمت الاجواء

(١٢) المصدر السابق . (١٣) معريب ـ ١٩٧٤/٨/١٦ .

السياسية الاسرائيلية قبل استدعاء رابين الى واشنطن بالحذر والتربص ، ولكنها أهلت نفسها لقبول ما تفرضه واشنطن . وقد اتهمت اوساط اسرائيلية أخرى بعض الساسة الامريكيين في واشنطن بأنهم يثيرون الخشية في قلوب الاسرائيليين ، من ان سورية ستجدد الحرب ، قبل نهاية هذا العام للتأثير على حكومة اسرائيل ، لتوافق على اجراء مفاوضات مع الاردن كما اسلفنا . وكان بود اسرائيل لو تمردت على أوامر واشنطن وعادت لنغمة « المفاوضات المباشرة » التي كانت تسمعها قبل حرب تشرين ، ولكن المتغيرات التي جاءت بها تلك الحرب التشرينية جعلت الزمن يتجاوزها ، وواشنطن لاتقبلها . كتبت هآرتس :(١٤) «يمكن القول انه من المرغوب جدا ان لاتواصل الولايات المتحدة سياسة منح التنازلات للعرب على حساب اسرائيل ، بل على العرب ان ينالوها منا . ولكن تخشى حكومة (اسرائيل) ان يفسر هذاالطلب وكأنه الغاء لدور وساطة الولايات المتحدة والعودة الى صيغة «المفاوضات المباشرة.» . «لقد كانت هناك فترات ناضل فيها يتسحاق رابين ، كسفير لاسرائيل في واشنطن بمثابرة (وفي النهاية بنجاح) ضد تلك الصيغة ، من منطلق الادعاء بأن الجمهور الامريكي لن يفهم شيئا ، اذا تجددت الحرب ، الا أنها تجددت بسبب اصرار اسرائيل وعنادها بمعارضة المفاوضات غير المباشرة . وهذا سيؤدي الى نقل مركز الثقل في الوساطة والمفاوضات الى هيئة مؤتمر جنيف نفسه، الهيئة التي أحد رؤسائها مندوب الاتحاد السوفييتي» .

ومما يبدو بأن رئيس حكومة اسرائيل قبل سفره لواشنطن استعد لتقديم أجوبة على المسائل التي من المتوقع أن يوجهها له الزعماء الامريكيون . ويعتقد المراقبون الاسرائيليون بأن المبادرة كلها موجودة في أيدي الولايات المتحدة ، وقبول رابين للحجة الامريكية كقاعدة للتداول ينظر اليه كقمة الفطنة السياسية . ويعتقد البعض بأن هذا الاسلوب يثير شكوكا وقلقا ، لانه سيترك اسرائيل في موقع يتميز برد الفعل في اساسه. ومن ناحية ثانية ، اذا فوضت الحكومة ، رئيسها بتقديم مشروع سلام اسرائيلي ، لزعماء الولايات المتحدة ، سيتعرض للاردن (وفي اطار اردني ، للفلسطينيين سكان المناطق المحتلة) ، ولمصر في آن واحد ، فأن مشروعا كهذا من شأنه أن تحظى اسرائيل عن طريقه بمزايا — سواء من ناحية استراتيجية (ازاء الجمهور الامريكي والغربي عامة) ، أو من ناحية تكتيكية ازاء الحكم الامريكي . ويجب ان نلاحظ هنا كلمة «تكتيكية» التي تفسر نوايا الحكم الامريكي. واذا لم تتخذ حكومة رابين هذا الموقف فأن الخشية من ان يعيد رابين وحكومته سفينة الدولة، الى الخطوط نفسها التي جاهدت مئير وديان لتوجيهها اليها في الفترة الواقعة بين الحربين الاخيرتين (٦٧و٧٣) ستبقى قائمة . وترى الاوساط السياسية بأنه من المفيد ان يعمل رابين في واشنطن لازالة هذه الخشية . ومن باب أظهار القوة والمكابرة ، يرد رابين على الذين يتهمون مواقفه الصلبة بأنها آخذة بالذوبان كلما تقدمت الاتصالات بقوله : عندي لن يحدث هذا الامر ، أى أنه لن يتراجع . ويتساءل هؤلاء الاسرائيليون : هل صحيح بأن عموده الفقري أقوى واثبت من العمودين الفقريين لدى جولدا مئير وموشي ديان ؟

ان زيارة رابين التي تمت عقب استدعائه لواشنطن تشكل فعلا اختبارا جديا . فالسير مع الاردن مرفوض، والسير مع مصر ايضا معقد ، لانه حتى لو كان هناك محل للتسوية الجزئية الاخرى بين اسرائيل ومصر ، فأنها لاتزيل خطر الحرب واما الجبهة السورية فأن أي حديث عنها يثير مسألة الحرب من جديد . ان زعامة رابين الآن في كفة ميزان : اذا دفع اسرائيل للتنازل عن مناطق حيوية دون بديل فعلي فأن هذا في الحقيقة يعتبر في نظر الاسرائيليين افلاسا كليا للسياسة الاسرائيلية الخارجية.

ولكن اسرائيل لا ترفض عند الجد نصائح كيسنجر الابوية الذي يتوق أحيانا لمعرفة « ماهو أحسن واجدى لاسرائيل » أكثر من اسرائيل نفسها . يتصور يوسف حريف المقابلة بين كيسنجر ورابين على الوجه التالي(١٥): رابين لن يلتزم باي اقتراح عملي وسيزعم بأن عليه ان يتشاور مع حكومته ، لكن كيسنجر سيعود الى المناورة المعروفة : هيا بنا نقول ماذا من المحتمل أن يحدث اذا لم تكن هناك «حركة» واذا لم يكن هناك «تقدم» (الذي معناه الواحد هو انسحاب اسرائيلي اضافي) * ، وسوف يوصل كيسنجر ضيفه الى استنتاج ـ سنواجه ثانية حربا جديدة جدية ، وهنا يمكننا التقدير ان وزير الخارجية الامريكي سيجسد ما هو من المحتمل أن يحدث على ضوء أخطاء الماضي : سيمارس سلاح النفط في الولايات المتحدة وليس فقط في أوروبا ، وسيصعب حشد مساندة لاسرائيل .

وربما بفعل «العادة» يسمح وزير الخارجية الامريكي لنفسه بهذه الخطوة أو تلك (دون الرجوع لاسرائيل) ، من خلال فرضية انه في نهاية الامر سيقنع اسرائيل بشكل ما . وحقا لقد كانت انجازات كيسنجر الشخصية في حالات كهذه لامعة . المهم بالنسبة لكيسنجر ان لايتجمد الوضع ويستدعي مضاعفات جديدة طالما أن السياسة الامريكية تربح من هذه الوساطة . ليس مهما في نظر كيسنجر الى اين ستتزحزح اسرائيل سواء في الجبهة الاردنية أو في الجبهة المصرية ، انما المهم ان تتزحزح ، ولهذا الغرض استدعى يتسحاق رابين الى واشنطن بدون أن يتشاور معه سلفا بخصوص الموعد ، وذلك بعد مغادرة يغال آلون بعدة أيام فقط .

(١٤) هآرتس – ١٩٧٤/٩/٦ . (١٥) معريب – ١٩٧٤/٨/٢٣ .

* الجملة وردت في الاصل .

الأرض

اسرائيل تطالب بالثمن

تمهيدا لجولته في المنطقة التي جرت في شهر ايلول (سبتمبر) كان قد صرح كيسنجر قبل مغادرته لواشنطن بأنهم في هذه المرة سيتباحثون عن التكتيك ، **ومن يتحدث ومع من**، وحول ماذا ، ناهيك عن المضمون . وكان التقدير بأنه من الصعب ان تقف الامور من ناحية عملية عند هذا الحد . فالعرب سيضغطون في سبيل انسحابات أخرى من جانب اسرائيل في القريب ، بينما رابين يطالب باجوبة حول ماهية التنازلات التي سيطلب من الدول العربية الموافقة عليها مقابل تلك الانسحابات . وكانت اسرائيل ترى من المفيد ان تلفت انتباه الدكتور كيسنجر الى المناخ النفسي السائد فيها غير المؤاتي لتنازلات متطرفة . وفي سبيل تدعيم وجهة نظرها ارادت ان «تذكر» وزير خارجية امريكا بمدى « أفضالها » على الولايات المتحدة فكتبت هآرتس تقول بهذا الصدد :(١٦) «لقد دفعت اسرائيل اذا لم يكن بصورة منفردة ، ففي الحقيقة بشكل ملموس، رسوم دخول الولايات المتحدة الى المنطقة بعد حرب يوم الغفران » . وهذا يعني بأن اسرائيل تريد أن تقبض ثمن أتعابها ، لا أن يكون لواشنطن الغنم وعليها الغرم . كما أنها لم تنس طبيعة العلاقات الخاصة بينها وبين واشنطن، لذلك ارادت ان تذكر ايضا بخطورة ماترسمه الولايات المتحدة الآن على مستقبل اسرائيل ، وبالاخص على قدرتها بالاستمرار على حماية المصالح الامريكية، فأضافت قائلة : «فالتنازلات الاسرائيلية المتطرفة في أساسها من المحتمل أن تضعفها (أي اسرائيل) بحيث تكون هناك حاجة متصاعدة للتدخل الامريكي من اجل بقاء راسها فوق الماء .»

ان اسرائيل خير من يعرف بأن بقاءها قوية يوفر على امريكا تدخلها المباشر ، كما أن الولايات المتحدة خير من يعرف أيضا بأن اسرائيل قوية تموه على دورها في المنطقة وتمكنها من القيام بدور الوسيط في النزاع وليس بدور الطرف المباشر .

ولقد ارتفعت في اسرائيل ، عشية زيارة كيسنجر، آراء تطالب بتغيير تكتيك المماطلة والتسويف لكسب الوقت ، لان هذه السياسة في النهاية لن تكون لصالح اسرائيل ، وعللت رايها بقولها :(١٧) اذا كانت الحكومة قد وجدت قبل زيارة رابين لواشنطن ،مجالا للقول ، بأنه من الافضل لها ان تنتظر حتى رجوعه من هناك ، فأنه في الحقيقة من الممكن الادعاء الآن انه ينبغي ثانية الانتظار في هذه المرة ايضا حتى مجيء كيسنجر الى المنطقة عامة والى القدس خاصة ، قبل ان ترسم حكومة اسرائيل طريقها . ولكن هل اسرائيل معنية بكسب الوقت ؟ وهل ستخرج رابحة ؟

يمكن ان يرد على الخاطر بأن هناك من يعتقد بأن **مكانة اسرائيل في المقايضة ستكون اقوى بعد نصف عام ، آخذين حقيقة تعاظم قوة الجيش الاسرائيلي بعين الاعتبار.** ويقول الراي المعاكس : اذا كان هناك ضباط تضغط عليهم مسألة محو اخفاقات حرب أكتوبر باثبات قدرتهم في جولة حربية أخرى ، فأنهم يجب ان يعلموا بأن الجانب الاخر هو ايضا ليس متجمدا ، كما أن الاسلحة التي تم التعهد بها للسيد رابين ، لم يتم التعهد بها لاسرائيل ، لتسهل عليها المبادرة في حرب جديدة من اجل تحسين منطلق اسرائيل ، نحو مفاوضات مع الدول العربية حول تسوية سياسية نهائية . ويمضي اصحاب هذا الراي قائلين : اذا كانت هذه الفرضيات صحيحة فاننا نرى بأن تكتيك كسب الوقت لن يؤدي الا الى خسارة الوقت . وحتى اذا فرض العرب علينا تجديد الحرب وانتصرنا عليهم ، واقتربنا أكثر من دمشق فأنه لايوجد اساس للايمان ، وكأن نصرا كهذا من شأنه ان يغير الوضع السياسي من اساسه . ان هزيمة أخرى للسوريين ، لن تقلص مطالب المصريين والاردنيين والمنظمات التي تصبو للتحدث باسم الفلسطينين .

واما اذا انضمت مصر والاردن للحرب مع سورية وتمكنا (اي الاسرائيليون) من رد الهجمات على جميع الجبهات ، فان استمرار اسرائيل بالسيطرة على مليون ونصف مليون عربي ، سيستمر في اثارة معارضة في ارجاء العالم . موجز الامر : على اسرائيل ان تكون مستعدة ومتأهبة لحرب وقائية ، لكن كل مفهوم أمني آخر لا يضمن تغييرا جوهريا في وضعها السياسي .

ما هو الحل الاسرائيلي لدى اصحاب هذا الرأي ؟ يعتقد هؤلاء بأنه لا أمل لاسرائيل في الوصول الى تسويات سياسية تحقق سلاما صريحا ، اذا لم تصل الى الحسم وتقرر خطوط الحدود بينها وبين مصر والاردن . واذا لم تستطع التهادن مع السوريين في هضبة الجولان فمن الضروري بأضعاف ان لا تدفع القاهرة وعمان الى احضان دمشق المفتوحة ، بسبب توجهها الى مصر والاردن، وكأنهما لا تختلفان عن سورية . « ان عزل سورية . لن يكون ممكنا الا اذا منعنا حافز التعاون والعمل مع السوريين (١٨) » . ولا يكتفي اصحاب هذا الرأي بأقوال غامضة كأقوال جولدامئير ، انها « ضد ضم الضفة الغربية وانني بكل تأكيد مع اعادة القسم المأهول » . ويشك اصحاب هذا الرأي فيما اذا كان رابين قد استخلص النتائج الصحيحة ، بالرغم من التقدم الملموس في موقفه : « ربما يكون السيد رابين قد بدأ يفهم اثناء وجوده في عاصمة الولايات المتحدة بأنه سيكون عليه أن يقضم من التفاحة القاسية ، وفي مقابلة مع اذاعة اسرائيل بمناسبة رأس السنة العبرية ، صرح ، بانه لا ينبغي عليه الدخول في

(١٦) هآرتس – ١٩٧٤/٩/١٣ . (١٧) راجع هآرتس – ١٩٧٤/٩/٢٠ . (١٨) المصدر السابق .

التفاصيل . لكن اسلوب حديثه آنذاك كان لا يزال يترك ريبا، فيما اذا كان قد حدد لنفسه نهايات السعي والعمل . » ويخلص أصحاب هذا الرأي الى القول : على الحكومة على كل حال ، ان تقرر ، لان الوقت قد حان للاستعداد لمباحثات مفصلة حول مشكلة الحدود مع الاردن ومصر ، من خلال الاشارة الى اسماء مناطق واماكن . يعني عليها ان «ترسم خرائط » في اتجاه يرسم « أمنا أعظم لانفسنا ، لكنه أيضا من خلال تقييم الحد الادنى الذي سيكون باستطاعتنا الاكتفاء به ». واما المقابل الذي يطالب به هذا الفريق فهو «دعم امني متواصل والتزامات سياسية من جانب الولايات المتحدة ». وفي هذه الحالة تكون مهمة حكومة اسرائيل ضمان امن اسرائيل ضمن حدود من شأنها تقليص نسبة الاقلية العربية التي ستبقى في اسرائيل ، وهذا من خلال الامل بان تسلم الدول العربية بوجود اسرائيل ، وان تستمر الولايات المتحدة في دعمها في الصمود أمام تلك الدول اذا رفضت هذه الدول عمل هذا (التسليم بوجود اسرائيل كما تراها هذه الفئة) .

« ولن ننكر أن تنمية هذين الاملين تنطوي على مخاطرة ، لكنها مخاطرة يبدو انه سيكون بامكاننا الصمود فيها . فالمخاطرات الاخرى لا تقل خطورة عنها ، وتكتيك المماطلة لا يضمن اي نجاحات واحرازات (١٩) » .

خرائط رابين وخرائط آلون

على ان اسحاق رابين بالرغم من سياسته المتصلبة في جوهرها ، الا انه يرغب ان يعطي سياسة حكومته صفة المرونة التي تميزها عن سياسة حكومة جولدا مئير ، التي اتسمت بالتصلب . ويرى بان لامانع من أن تبحث الحدود والخرائط في المرحلة المقبلة ، وخاصة مع مصر ، مع ما في هذا من المرارة والخشية . ففي احدى الجلسات الاستشارية صرح رابين (٢٠) : بانه يخشى الساعة التي يتوجب عليه فيها ان يضع اوراقه على الطاولة ويقول : هذا هو الخط الذي نحن مستعدون للانسحاب اليه في اطار الحل — في هذه المرحلة الحديث عن الحل مع مصر — القريب . واضاف رابين اذا كان الأمر كذلك ، فمن الافضل ان تبلور الحكومة لنفسها اقتراحا اسرائيليا بدل ان تنتظر حتى تجد نفسها امام اقتراح مصري . وبعد بضعة ايام صرح احد وزراء الحكومة : تحدد اسرائيل موقفها وتحضر خريطة وتقرر قرارات واضحة بالنسبة لطلباتها من العرب (في هذا الظرف خصوصا مصر) . ولم يسمع علنا عن هذه الاشياء اثناء وجود كيسنجر في تلك المرحلة ، اي لم يقدم له خرائط ولا اقتراحات . لكن كان واضحا بان كيسنجر سيطلب من الحكومة موضوعات كهذه ، لا ان تتصلب وراء القرار : لا قرارات ، كما فعلت الحكومة السابقة .

ويرسم آلون خرائط لسيناء ، حيث تعتبر المشكلة فيها هي المشكلة الاستراتيجية ، أولا وقبل كل شيء . وذلك استنادا الى الفرضية القائلة ، بأنه لا أمل هناك في التوصل الى تسوية سلمية مع مصر « الا اذا وافقنا على ارجاع حصة الاسد من شبه جزيرة سيناء » . ويقرر آلون بأن قسما من سيناء يجب ان يبقى تحت الحكم الاسرائيلي (عندما يدور الحديث عن الحكم الاسرائيلي لا يعني عموما الضم ، بل السيطرة الكاملة) . اضافة الى ذلك يجب فرز نصف شبه جزيرة سيناء ، وتكون تحت مراقبة اسرائيلية مصرية مشتركة، الامر الذي من شأنه ان يعزز امن الطرفين (هذا الاقتراح يفضله ديان وآلون وآخرون على قوات اجنبية من خارج المنطقة) .

وبعد ان يعين آلون مناطق الضعف الاربع وهي :

- محور الغزو التاريخي على امتداد الشاطيء ، طريق العريش الى غزة .
- منطقة نتسانا — القصيمة — الكونتيلا .
- منطقة مضائق تيران . *

يتوصل آلون الى استنتاج هو : لكي نصحح التقديرات الامنية على الحدود بيننا وبين مصر ، يجب أن نضمن سيطرة اسرائيل على مساحات دفاعية واضحة في كل من المناطق الاربع (المذكورة سابقا) ، وان يكون هناك ارتباط جغرافي بينها ، من شرم الشيخ جنوبا الى مكان ما بين العريش ورفح على شاطيء البحر المتوسط شمالا . تلك هي الخطوط العامة (للصورة الجغرافية) . أما بالنسبة الى قطاع غزة ، فان مصر على ما يبدو موافقة على عدم استعادته . ولسوف يبقى على الاغلب مكان مساومة في التسوية مع الاردن (هذا ما تراه الولايات المتحدة كما جاء في «مشروع روجرز») . ومن المحتمل أن يرد المصريون على مشروع آلون هذا — ساقط ، كما قال الاردنيون عن مشروع آلون للتسوية معهم . لكن لغاية الآن ليست هذه هي النهاية ، حيث أن مشروع آلون هذا ، ليس مرتبطا باتفاقية مؤقتة ، لكنه مشروع لتسوية سلمية نهائية ، ولهذا ما زال هناك متسع للمناورة ، بين ما تستعد اسرائيل لاعطائه في اتفاقية جزئية اخرى، وبين ما ستطلبه مصر (انسحاب حتى خط العريش — رأس محمد) .

ولكن كما يقال ليست تلك هي القضية . فاسحاق رابين لم يضع بالمصادفة القيود بأيدي الحكومة عندما عاد الى التصريح دون تردد بأن الحل الجزئي القادم مع مصر يجب أن يحمل طابعا سياسيا — يعني يتوجب اعلان عدم حالة الحرب ، وازالة هذه القيود عن طيب خاطر — أو بالقوة عن ايدي الحكومة ، هذا هو السؤال الماثل

(١٩) — المصدر السابق نفسه . (٢٠) — معريب — ١٩٧٤/٩/٣٠ . بقلم يوسف حريف . * هكذا وردت في الاصل العبري معريب ، ١٩٧٤/٩/٣٠ .

اليوم أمام الحكومة . ان السادات قد قال ما عنده (لا سلام حتى لو انسحبت اسرائيل من كل سيناء) . لقد قال رابين ان هذا «خسارة» . في هذه الظروف فانه من الصعب حقا على رئيس الوزراء أن يتنبأ اذا كنا نسير أكثر نحو السلام — أم نحو الحرب .

اسرائيل ومصطلح اللا حرب :

بعد أن كانت اسرائيل ترفع شعارات المفاوضات المباشرة قبل حرب تشرين عادت وطورت هذا الشعار وقبلت بالمفاوضات غير المباشرة ، ثم خطت خطوة أخرى الى أمام في طريق اللعب على الالفاظ واحراج العرب ، فرفعت شعار السلام التعاقدي الذي وصفته جولدا مئير بأنه السلام الذي يتيح لها السفر الى أية عاصمة عربية وشراء حوائجها من أسواقها . ولما وجدت أن هذا الشعار لا يلاقي ظروفا مؤاتية طرحت في سوق الدبلوماسية ، شعار اللا حرب ، وأخذت تعدد عناصره حتى بدا وكأنه وجه آخر لعملة السلام التعاقدي . وهكذا تحول مصطلح « اللا حرب » الى « خط تحصينات » للدبلوماسية الاسرائيلية . وتعتقد اسرائيل بأن المفاوضات حول توضيح ماهية مصطلح « اللا حرب » وتمييز عناصره من المحتمل أن تكسب المحادثات الاسرائيلية المصرية صفة المقايضة المستمرة . ان اسرائيل معنية بالمجابهة السياسية المتواصلة ، اذا كانت تجري في ظروف وفي اطار يشكل سبيل نجاة من تهديد في جبهتين : ارجاء احياء الجبهة الشرقية وانعزال مصري عن المجموعة العربية . هذا هو التكتيك الاسرائيلي الجديد من أجل المناورة وكسب الوقت . وليس من قبيل المصادفة قد اختارت اسرائيل التمسك بمصطلح اللا حرب كمعطى في المعادلة التي نمّاها رابين بقوله(٢١) : ان مقدار الانسحاب الاسرائيلي سيكون مرهونا بمقدار الموافقة العربية على اعطاء تعبير سياسي لطابع المرحلة الثانية . ويعرف الحكم في اسرائيل جيدا بأن المقايضة عن طريق كيسنجر من المتوقع أن تنضج على الاكثر موافقة سرية على قسم — جوهري أو ثانوي — حسب رأيها ، من قائمة عناصر «اللا حرب» التي تعدها . وان القليل الذي بقي للوسيط الامريكي أن يفعله هو تطبيق « التصعيد الدبلوماسي » الذي ينطوي على ضمان لارجاء تجديد القتال . وان قدرة اسرائيل على استنباط تقدم من هذا المنطلق هي محدودة . لان خطتها مبنية على مدى استعداد مصر للانعزال في مرحلة المحادثات بين الطرفين عن المجموعة العربية .

هدف زيارة كيسنجر قبل الرباط :

لا يزال يعتقد كثيرون في الساحة السياسية في المنطقة بأن جولة كيسنجر هذه لن تعدو كونها زيارة «تقنية» ، حيث يتم خلالها فقط تلخيص اطارات المراحل السياسية . الا أن الواقع يشير الى أن وزير خارجية امريكا لم يتجشم عناء السفر من واشنطن فقط بسبب هذه الموضوعات . هناك من يعتقد بأن هذه الزيارة قد يكون الرئيس السادات قد دفعه اليها ، اذ من الممكن الافتراض بأن كيسنجر يفهم بأنه حينما تمنح مصر ، مع اقتراب موعد الزيارة ، مدالية لجنرال سوفييتي ، وتغادر بعثة عسكرية القاهرة متوجهة الى موسكو ، من أجل تجديد ما مضى — ينطوي هذا الامر على أكثر من تلميح لكيسنجر الذي يمكن معادلته بالآتي (٢٢) : اما أن تزودنا بالبضاعة وإما أن نعود الى أصدقائنا القدامى . ومن البديهي أن هذا الانذار غير المباشر لم يخف عن أنظار دبلوماسي ماهر مثل كيسنجر .

ويرى اسرائيليون آخرون بأن هدف الزيارة له صلة وثيقة بتدعيم المعسكر المعتدل ، الذي من المتوقع أن يتجابه مع العناصر المتطرفة في مؤتمر الرباط . وبمدى أكبر من المعقولية يمكن القول أن زيارة كيسنجر في المنطقة مرتبطة برغبة أمريكا بتهدئة العرب وطمأنتهم وتجديد ايمانهم بالوساطة الامريكية(٢٣) .

وقال جون سكالي ، المندوب الامريكي ، في تعليله لمعارضة الولايات المتحدة دعوة منظمة التحرير الفلسطينية(٢٤) : بأن الدعوة من شأنها أن تفشل المجهودات الرامية لتسوية سياسية . وهناك علائم تشير بأن زيارة كيسنجر للمنطقة ، قد جاءت منذ البداية من أجل كبح تلك المناخات النفسية المتطرفة ، التي احتفلت الآن « بانتصارها » في التصويت في جمعية الامم المتحدة . ومع أن زيارة وزير الخارجية السابعة كانت مقتضبة ومتناقضة ، الا أنه يمكن القول ، بأنها انطوت على تنمية اتجاهات استمرار المجهودات السياسية ، وتعديل الاتجاهات والضغوط في مؤتمر رؤساء الدول العربية قبل انعقاده في الرباط .

سبب آخر لزيارة كيسنجر السابعة هو النفط . ومع انه انكر أن زيارته كانت متعلقة بأزمة الوقود ، لكن في الحقيقة كانت محادثاته مع الملك السعودي ، قد جرت حول محور النفط . والتعهد الذي حصل عليه بتخفيض أسعار النفط من الملك السعودي أبهج الامريكيين .

ويتوقع جوزيف كرافت من واشنطن(٢٥) ، بأن جولة وزير الخارجية الامريكية قد تجردت من الطابع الملح والمصيري الذي ميز جولاته السابقة ، التي كان عليه ان يعود منها الى واشنطن بحل « بأي ثمن » . لان الوضع في هذه الاثناء قد تغير في البيت الابيض ولم يعد الرئيس فورد بحاجة الى الصفقات الدرامية مع موسكو ، أو مع

(٢١) عل همشمار ، ١٥ — ١٠ — ١٩٧٤ . (٢٢) — هآرتس ، ١٤ — ١٠ — ١٩٧٤ . (٢٣) — المصدر السابق . (٢٤) — عل همشمار ، ١٨ — ١٠ — ١٩٧٤ . (٢٥) — دافار ، ١٣ — ١٠ — ١٩٧٤ .

الشرق الاوسط ، التي كان يأمل نيكسون أن تنقذ مكانته من الهزيمة . وعلى الاغلب يمكن التوقع من جولات كيسنجر الحالية ، انه ربما سيفلح في الشرق الاوسط وفي موسكو باستمرار وجود الاطار خلال محادثات المستقبل .

وأما زيارة كيسنجر من وجهة نظر كيسنجر نفسه كما رواها لصحبه فيقول ، بأنه قد عاد من زيارته باحساس انه قد نجح بمفهومين(٢٦) :

١ – لقد أفلح في تجديد التحرك الدبلوماسي .

٢ – تم التعهد له بتخفيض أسعار النفط .

بالاضافة الى هذين النجاحين ، فقد استهدف أمرين آخرين لا نعتقد بأنه نجح فيهما :

١ – ان يتعهد له فيصل والسادات بنتائج معتدلة في مؤتمر الرباط حتى يعود قريبا الى المنطقة ويشرع بتحضير الجلسة الثانية لمؤتمر جنيف ، ورسم خرائط وخطوط .

٢ – قال كيسنجر للملك فيصل وللرئيس الجزائري ، بأن الدول العربية بوسعها أن تساند وتؤازر منظمة التحرير الفلسطينية – وعندها ستعرقل مؤتمر السلام – أو أن تؤازر مفاوضات السلام ، وعندها لا يمكن الوقوف كليا الى جانب منظمة التحرير والى ان يحين تغيير قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

« ان مؤتمر قمة الرباط اعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب العربي الفلسطيني ، على عكس توقعات كيسنجر ورغباته الامر الذي سيقلب حسابات كثيرة في المنطقة . لقد كتب عوديد زراي في صحيفة هآرتس،عن تلك التوقعات وعن احتمالات فشل تمرير سياسة كيسنجر فقال (٢٧) : « ان كيسنجر يتوقع بان ينجح السادات في لجم بقية الزعماء العرب وتقييدهم من اجل استصدار قرارات معتدلة ، من شأنها ان تتيح استمرار رسالته في مطلع تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل ، الا ان هذه التوقعات تبدو الآن كأمر مشكوك فيه . وحتى اذا كان السادات يسعى ويعمل لارضاء توقعات كيسنجر،فانه من المحتمل ان يتعثر باكثر من عثرة واحدة ، ابتداء من صدام المنظمة مع الاردن ، الى مخاوف سورية من نوايا التحرك المصري في المرحلة المقبلة ورغبتها في تقييد مؤتمر القمة في سبيل ضمان مواقفها المتطرفة . من هنا ان عدم وجود قرار عنيد للرئيس السادات لمواصلة المجهودات السياسية بموجب الاستراتيجية الامريكية ، وبدون اقرار طابع عربي شامل ، من المحتمل ان يجر مصر نحو المواقف المتطرفة الموجودة بشكل وافر في مؤتمر القمة السابع في الرباط » .

لا شك ان كل من اطلع على مقررات قمة الرباط يعرف اليوم ان جميع هذه التوقعات قد خيبت آمال أصحابها . والاجماع العربي لم يكن لمصلحة الاستراتيجية الامريكية بل كان لمصلحة القضية الفلسطينية ولمصلحة سياسة عدم تجزئة الحل واستفراد كل دولة عربية من دول المواجهة على حدة .

واذا كانت قرارات مؤتمر الرباط قد اثارت غضب اسرائيل ، فان تحركات كيسنجر ، الذي ينظر « بأبوة » الى المصلحة الاسرائيلية ، قد اثارت مخاوفها أيضا . ويتساءل الاسرائيليون مستهجنين ، على مستوى الهمس، عن سبب نشاط وزير الخارجية الامريكي المبالغ به وغير المنسق قبيل مؤتمر الرباط . على حسب زعم هؤلاء الوزراء الاسرائيليين (٢٨) ، بان اسرائيل تشترك في لعبة تتغير اصولها بدون علمها – سواء لانهم يخفونها عنها ، 'و لانها لا تعتبر جانبا ينبغي اشراكه في تحديد الاصول والقوانين . ويقولون : في البداية ، حدد كيسنجر زيارته ليوم واحد تقريبا ، في كل عاصمة ، وفجأة وبدون أي انذار مسبق ، تتحول هذه الى بضع زيارات . وقبل أن تعرف اسرائيل ماذا يحدث،يبدأون بالحديث عن الحدود. وهكذا تضبط اسرائيل وهي غير مستعدة . لان الزيارات المتواصلة تستوجب تحضيرا يختلف عن التحضير الذي ينبغي منحه لزيارة واحدة وخاطفة ، والذي لم يخطر على بال حكومة اسرائيل التي جلست غير مبالية تنتظر « زيارة تقنية » محضة .

ان هذا الوضع لا يبشر بالخير لاسرائيل ، وتخوفها منه يفضح بما لايقبل الشك الاستراتيجية الاسرائيلية بالنسبة للانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والمتمثلة بالمماطلة وكسب الوقت والتحصن وراء الصيغ اللفظية . يقول ماتي غولان (٢٩) :

« قبل ان تنجر اسرائيل الى مفاوضات مرتجلة وسريعة من المستحسن ان نضع الامور في مكانها . المدافع لاتزمجر ، والجيوش لاتحتك كل بالاخرى ، والمشاكل ليست سهلة . ان السرعة التي كانت في محلها في قضايا فصل القوات ليست المقياس الصحيح من الآن فصاعدا . ان حكومة اسرائيل تحسن صنعا اذا ذكرت للدكتور كيسنجر أقواله هو عن السير خطوة وراء خطوة . ان عهد اختصار الطريق قد ولى ، حينما تم التوقيع على اتفاقية فصل القوات الاخيرة » .

ان توجه اسرائيل على ضوء زيارة كيسنجر يمكن تلخيصه بالنقاط التي بلورتها الحكومة كالآتي (٣٠) :

١ – منع الجمود ، ومجهودات رامية لمفاوضات مع مصر .

(٢٦) – عل همشمار ، ١٨ – ١٠ – ١٩٧٤ . (٢٧) – هآرتس ، ٢٤ – ١٠ – ١٩٧٤ ؛ (٢٨) – هآرتس ، ١٤ – ١٠ – ١٩٧٤ .
(٢٩) – المصدر السابق . (٣٠) – عل همشمار ، ١٨ – ١٠ ١٩٧٤ .

٢ – تسوية مرحلية يحتمها الظرف الراهن ، لانه لا توجد حاليا امكانية للتسوية الشاملة .

٣ – مبادرة خاصة حيال الاردن ، التي تتمثل بمشروع اقتراح التهادن الاقليمي ، وبالاستعداد لاحراز تسوية هي اقل من سلام ، فقط لكي يحصل تقدم .

٤ – تلميح عن الاستعداد لابداء تهادن أيضا مع سورية ، لكي لايدفعها تطرفها الى اعمال عديمة المسؤولية، على افتراض ، انها على اي حال لن يكون بأمكانها الحصول على أي شيء في المفاوضات الحالية .

٥ – اظهار اعتدال ليس فقط كخط مبدئي ، انما أيضا كخطوة تكتيكية ، تقضي بوجوب وضع الزعماء العرب امام الاختيار : هل هم مستعدون للتهادن أم لا ؟ . **وكذلك لكي يكون آخر الجالسين وراء الرحى في اسرائيل مقتنعا وليعلم ان هذه الحكومة بذلت كل شيء من أجل منع حرب جديدة .**

ان هذا التوجه اللين والمفتوح للحكومة الاسرائيلية جاء منسجما مع حقيقة نواياها العدوانية المبيتة التي فضحها البند الخامس حتى يكون آخر الجالسين وراء الرحى في اسرائيل مقتنعا وليعلم ان هذه الحكومة بذلت كل شيء من اجل منع حرب جديدة . لاننا اذا جردنا هذا الكلام من الشعارات والدبلوماسية – غير الناجحة على كل حال – لايبقى الا تكتيك اسرائيل من أجل تبرير اتخاذ قرار الحرب في الوقت المناسب .

ان المتفحص لاقوال رابين بعد قرارات مؤتمر الرباط لايمكنه ان يرى فيها الا استمرارا للسياسة المناورة والمتربصة شرا في الوقت نفسه ، بالامة العربية . وكان قد حدد أهم نقاط سياسته امام كتلة التجمع العمالي(المعراخ) في الكنيست يوم ١٩٧٤/١١/٤ بالآتي (٣١) :

١ – لا مجال للدخول في مفاوضات مع المنظمات الفدائية .

٢ – تسعى الجهات العربية المتطرفة لاجبار اسرائيل على الدخول في مفاوضات مع العالم العربي كله ، وذلك بغية عدم الوصول الى تسوية وتجميد الاوضاع .

٣ – رفض قرارات مؤتمر الرباط رفضا باتا .

٤ – الابقاء على قرارات حكومة اسرائيل بالنسبة للتسوية مع مصر كما هي .

٥ – الاستيطان هو موضوع ثانوي .

الخلاصة :

اذا عرفنا ماذا تريد كل من الولايات المتحدة واسرائيل من الوطن العربي يسهل علينا تفسير تحركاتهما ووضعها عارية في المكان الصحيح .

ان واشنطن ترغب حاليا والى عقد آخر من الزمن باستمرار في تدفق النفط العربي وباسعار مخفضة،وفي الوقت نفسه ترغب من البلاد العربية النفطية ان تعيد ضخ الاموال التي تحصل عليها ثمنا لهذا النفط ، ليصار الى استثمارها في الولايات المتحدة الامريكية .

وتريد اسرائيل ان تبقى قوة عسكرية متفوقة في المنطقة حتى تتمكن من استجلاب اعداد اخرى من المهاجرين لتتمكن عن طريقهم من تدعيم مخططها الرامي الى توسيع رقعتها الجغرافية الى المدى الذي يستطيع الجيش الاسرائيلي الوصول اليه .

وحتى تستطيع الولايات المتحدة تنفيذ استراتيجيتها بحاجة الى امرين :

١ – تمويه دورها المستهدف اساسا السيطرة على ثروات العالم العربي واتخاذ دور الوسيط بدل اتخاذ دور العدو المباشر .

٢ – تكليف قوة اخرى – اسرائيل – لتقوم باخضاع العرب وقطع الطريق على تقدمهم ووحدتهم عن طريق استنزافهم باستمرار ، وبذلك تقطع عليهم الاستفادة من ثرواتهم الضخمة عمرانيا كما يجب بحيث لايتمكنون من ان يصبحوا يوما قوة لها شأنها تستطيع ان تقرر كيفية الاستفادة من ثرواتها وقوتها السياسية والعسكرية .

وحتى تستطيع اسرائيل تنفيذ استراتيجيتها فانها بحاجة الى امرين هامين من بين ماتحتاج اليه :

آ – المحافظة على قوتها العسكرية المطلقة – وهذا يستدعي استمرار قدرتها على استجلاب مهاجرين واقتطاع اراض من الوطن العربي لاستيعابهم .

ب – استمرار دعم الولايات المتحدة المادي والاقتصادي حتى تتمكن من القيام بهذه المهمة بنجاح .

ان الولايات المتحدة واسرائيل تعرفان تماما ان اعطاء العرب فرصة حقيقية للسلام من شأنها ان تجعلهم يدعمون حركة البناء والتقدم والازدهار في الوطن العربي والتي من شأنها ان تنعكس ، فيما تنعكس ، على قوة العرب العسكرية. هذا الامر الذي لايخدم الاستراتيجية الامريكية والاسرائيلية الصهيونية . الا ان امريكا ومعها الصهيونية تدركان ايضا بان أية حرب خاسرة تشنها اسرائيل على الامة العربية ، من شأنها ان تخلف حقائق جديدة يكون لها نتائج عكسية تماما لما تهدفان وتتوقعان .

ان حربا عربية اخرى مظفرة ضد اسرائيل من شأنها ان تنهي المؤسسة الصهيونية .

ان اسرائيل لاتستطيع ان تعيش الا قوة منتصرة وقادرة على اخضاع العرب وتأدية الدور المرسوم لها ، الذي تتعيش عليه . وعندما تفلس عسكريا ستنهار اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . من هنا كان الترابط الجدلي بين مصالح الولايات المتحدة ومصالح الحركة

(٣١) – هآرتس ، ٥–١١–١٩٧٤ .

ظاهرتا الأزمة والحرب في الكيان الصهيوني

تمر الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني الذي أنشأته على الارض الفلسطينية في أخطر أزمة مرا بها منذ تأسيس الحركة الصهيونية . ولا تقتصر هذه الازمة على اضطرار الحكومة الاسرائيلية الى تخفيض مستوى المعيشة الذي يتجاوز بكثير القدرة الانتاجية للكيان الصهيوني ، كما أنها لا تقتصر على تحول الميزان العسكري لغير صالح المؤسسة العسكرية الصهيونية فالازمة الحالية تتسم ، ربما للمرة الاولى في التاريخ الصهيوني ، بأنها أزمة شاملة . فهي تشمل الاسس الفكرية للحركة الصهيونية ، كما أنها تضع قدرة الكيان الصهيوني على اقامة مجتمع قادر على الاعتماد على الذات وعلى النمو في الوقت نفسه ، موضع شك كبير . وبالاضافة الى كل ذلك فان جدوى الكيان الصهيوني واستمراره ، يوضعان موضع تساؤل من قبل جميع المعنيين بهذا الكيان . ففي الدوائر الامبريالية هناك تساؤل حول امكانية قدرة المؤسسة العسكرية الصهيونية على تأدية مهماتها في ضوء تصاعد القوة العسكرية العربية ، وفي ضوء التكاليف المتزايدة التي يتطلبها دعم القدرة العسكرية الاسرائيلية . وفي الاوساط المالية غير الصهيونية هناك تردد كبير في استثمار الاموال في الكيان الصهيوني ، ناتج عن الفضائح المالية التي هزت الكيان الصهيوني في الاشهر الاخيرة . وفي مجال الهجرة هناك انحسار في الهجرة من الدول الغربية ، بعد المد الذي شهدته الهجرة من هذه الدول بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧ . أما الهجرة من الاتحاد السوفياتي فيتزايد تساقط المهاجرين على الطريق قبل الوصول الى اسرائيل بالاضافة الى تناقص عدد الراغبين في الهجرة اصلا من الاتحاد السوفياتي . أما في اوساط الشباب اليهود في اسرائيل فهناك تساؤلات حول عدالة اقامة الكيان الصهيوني اساسا ، وتساؤلات حول المسلمات التي كانت تقول بأن « اسرائيل » هي المكان الآمن الوحيد لليهود وان لا مستقبل لليهود الا في اسرائيل .

ويترافق مع هذه الظواهر ، ظاهرة تناقص استعداد المتمولين اليهود للتبرع للجباية اليهودية ، مما ضاعف من حدة الازمة الاقتصادية التي يمر بها الكيان الصهيوني ، واضطر الحكومة الى اتخاذ اجراءات اقتصادية شديدة القسوة ، والى « تبشير » الاسرائيليين بأن هذه الاجراءات ستتلوها اجراءات أشد منها . فماذا حصل في الدولة التي كانت تصف نفسها بأنها « قوة عظمى » قبل حرب تشرين المجيدة بأيام . سنحاول في بحثنا هذا ان نلقي الضوء على جذور الازمة ، مستعملين عددا من المؤشرات الهامة .

١ ـ اسرائيل حارة يهود أخرى وليست دولة :

إن أهم السمات التي كانت تميز حياة الجاليات اليهودية في مناطق تواجدها هي التركيب الوظيفي لهذه الجاليات . فمن المعروف أن الجاليات اليهودية لم تشارك في النشاط الانتاجي لاي من المجتمعات التي عاشت بينها . وكانت الحرف الاساسية التي تتمحور حولها حياة اليهود هي التجارة والاعمال المصرفية والسمسرة والاعمال المتفرعة عن هذه المهن . ويشترط لازدهار الجاليات التي تعتاش على هذه المهن ، وترفض ممارسة الاعمال الانتاجية ، أن يكون هناك فائض اقتصادي كبير لدى المجتمع يستطيع توفيره لكي تتعيش عليه هذه الفئات الطفيلية . وقد كان هدف مؤسسي الحركة الصهيونية هو انشاء محطة تجارية في منطقة تتميز بوقوعها على مفترق الطرق التجارية العالمية في ظل تعاظم حركة التجارة العالمية وقد ثبت الآن أن المجتمع الصهيوني في فلسطين المحتلة لم يكن في يوم من الايام قادرا ، أو مستعدا لقبول ، عملية توازن بين قدرته الانتاجية واحتياجاته الاستهلاكية . وانعدام هذا التوازن بين القدرة الانتاجية والاحتياجات الاستهلاكية يجد تعبيره في المصطلح الاقتصادي « العجز في الميزان التجاري » . وقد كان الكيان الصهيوني قادرا في السنوات السابقة على سد هذا العجز عن طريق التمويلات المالية من الخارج (التبرعات اليهودية ، تعويضات المانية الغربية ، هبات الولايات المتحدة ، استثمارات خارجية .. الخ) . غير ان الاحتياجات الاستهلاكية ظلت في تصاعد متعاظم الى حد لم تعد معه التمويلات الخارجية تكفي لسد هذا العجز . وهذا في وقت لايبدي فيه المجتمع الصهيوني استعدادا حقيقيا للتحول عن ممارسة الاعمال السهلة الى الاعمال المنتجة ، أو استعدادا للتقليل من

متطلباته الاستهلاكية . وقد أشارت صحيفة لوموند الفرنسية الى هذا الموضوع في تعليقها على الاجراءات الاقتصادية الاخيرة قائلة : « أن أحد علماء الاقتصاد يقول : ان مستوى معيشة الاسرائيلي هو مستوى الرجل المتوسط في أوروبا الغربية ، بينما أن بلاده (أي اسرائيل) هي مجرد بلاد نامية » (١) كما كتبت صحيفة التايمز البريطانية عن الموضوع نفسه قائلة : « ويتطلع شعبها ... الى بلوغ المستوى الذي تعيش فيه الدول الصناعية الحديثة ، وهو يرغب في دفع الكثير مقابل الحصول على البضائع الاستهلاكية وعلى السيارات ... وبامكان هذا النمط من الحياة الاستمرار فيما لو بقيت الاسعار العالمية ثابتة ، وفيما لو استطاعت اسرائيل الحصول من اليهود ومن الامريكيين على أموال اضافية . ولكن لشارع « وول ستريت » مشاكله أيضا » (٢) .

ان حجم العجز في ميزان المدفوعات الاسرائيلي قد بلغ حدا يجعل من الصعب على « النظام المالي اليهودي » أن يسيره ، حتى لو لم يكن هو نفسه يعاني من المصاعب المالية ، وحتى لو رغب في ذلك .

فقد ازداد هذا العجز في السنوات الاخيرة من مليار دولار عام ١٩٧٢ الى ٢ر٥ مليار عام ١٩٧٣ ، الى ٣ر٥ مليار عام ١٩٧٤ . ومهما كانت قوة « النظام المالي اليهودي » فان من شأن العمل على تسديد هذا العجز أن يؤدي الى افلاس هذا « النظام » . وقد أوضح وزير المالية الاسرائيلي ، رابينو فيتش ، أنه « ليس في مقدرة دولة اسرائيل أن تتحمل هذا العجز ، كما ان حكومة الولايات المتحدة والشعب اليهودي في العالم أجمع ، ليس بمقدرتهم تحمل مثل هذا العجز » (٣) .

وبالاضافة الى هذا العجز ، فان « دولة » اسرائيل مدينة للخارج بديون يبلغ مجموعها ٦ مليارات دولار . ويتحتم على اسرائيل أن تسدد ديونا ، من الميزانية العامة ، تبلغ هذه السنة ٨ر٥ مليار ليرة اسرائيلية (٤) .

ولكن المعضلة الحقيقية التي تواجه الكيان الصهيوني ليست مشكلة مالية أو اقتصادية . انها تكمن في المادة البشرية الموجودة تحت تصرف القيادة الصهيونية . فالقسم الاساسي من المستوطنين اليهود في فلسطين المحتلة ، لم يختر المجيء الى « أرض الميعاد » ليكون شعبا من الفلاحين والعمال . فاذا لم تتوفر فرص جمع الثروات ، والاعمال السهلة ، واذا لم « تضمن » الدولة توفير مستوى معيشي مرتفع ، يعادل مستويات المعيشة السائدة في أوروبا ، فان النتيجة سوف تكون نزوحا جماعيا عن « ارض الآباء والاجداد » . واذا كان هناك من كابوس يؤرق ليل القيادة الصهيونية ، فهو كابوس النزوح الجماعي وتوقف الهجرة ، وليس الهزيمة العسكرية .

ولهذا فان النصائح والوصفات التي يقدمها الاقتصاديون الاسرائيليون لانفسهم ، أو يقدمها غيرهم لهم ، لا تفيد المجتمع الصهيوني . لقد كتب معلق جريدة الجيروزاليم بوست الاقتصادي (٥) يقول :

« في الظروف السائدة حاليا والتي تتميز بنضوب احتياطيات الدولار ، فان علاج الهبوط الاقتصادي يتطلب تخفيضا كبيرا في مستوياتنا المعيشية ، بغض النظر عن الالتزامات السابقة ، وتحويلا جماعيا للناس من مواقع البناء والمكاتب والخدمات الى المزارع والصناعات التصديرية » .

لقد كان ادعاء الحركة الصهيونية منذ بداية القرن العشرين انها تقوم بتحويل اليهود من «المكاتب والخدمات» الى الحقل والمصنع . وادعت الحركة الصهيونية انها قد انجزت هذه المهمة منذ زمن بعيد . فاذا بنا بعد اكثر من نصف قرن على صدور وعد بلفور ، واكثر من ربع قرن على قيام الدولة ، نرى أن اليهود لا زالوا في المكاتب والخدمات .

وليس معلق الجيروزاليم بوست الاقتصادي وحده هو الذي اكتشف أن اليهود لا زالوا في المكاتب والخدمات فمعلق جريدة هآرتس الاقتصادي ، اكتشف ، قبل اتخاذ الاجراءات الاخيرة بما يقارب شهرين ، ان اليهود ليس فقط موجودين في المكاتب ، وليس في المصنع والحقل ، بل أن هؤلاء الموجودين في المكاتب لايقومون بأي عمل ذي معنى « وتشمل هذه البطالة غير المنظورة ، والعالية التكاليف مائة الف شخص على أقل تقدير ـ موظفين وعمالا ، رجالا ونساء ، جلهم في ربيع حياتهم ، لو وضعوا في فروع ومهن اخرى لاستطاعوا ان ينتجوا سنويا بضائع وخدمات للتصدير بمليار دولار تقريبا . ولقد أصبحت البطالة غير المنظورة متفشية في كل مؤسسة ومصنع ودائرة حكومية » (٦) .

ان البنية غير الاقتصادية للكيان الصهيوني ، والتعيش الطفيلي لاوسع فئات السكان ، على أموال التبرعات والجبايات والهبات ، مستفيدين بذلك من ظرف تاريخي استثنائي ، يتميز بحاجة القوى الاستعمارية لموقع فلسطين ذي الاهمية الاستراتيجية الفائقة ، ينفي عن الكيان الصهيوني صفة الدولة ، وينزلها الى مرتبة الظاهرة العابرة في تاريخ المنطقة .

٢ ـ علاقة الكيان الصهيوني بالنظام المالي اليهودي العالمي :

ان تحول تيودور هرتسل ، مؤسس الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر ، من صحفي مغمور ، الى شخصية سياسية هامة ، يستقبله السلطان العثماني ، ليتلقى منه عروضا بمساعدة ميزانية الامبراطورية العثمانية بمبالغ تبلغ عدة عشرات من ملايين الجنيهات الاسترلينية ، يثير سؤالا مشروعا ومنطقيا عن

(١) ـ لوموند ١٢ـ١١ـ١٩٧٤ . (٢) ـ التايمز ١٢ـ١١ـ١٩٧٤ . شارع « وول ستريت » هو سوق الاوراق المالية في نيويورك حيث يمارس المتمولون اليهود نشاطهم . (٣) ـ اذاعة اسرائيل . الساعة ٣٠ر١٨ ، ١٢ـ١١ـ١٩٧٤ . (٤) ـ هآرتس ٤ـ١١ـ١٩٧٤ . (٥) ـ جيروزاليم بوست ، ١٨ـ١١ـ١٩٧٤ . (٦) ـ هآرتس ١٦ـ٩ـ١٩٧٤ .

مصدر هذه الاموال والاسباب الحقيقية وراء استعداد هذا المصدر لتقديم هذه المبالغ . ان الجواب على هذا السؤال يكمن في حقيقة ان « النظام المالي اليهودي » هو الذي جند هرتسل للقيام بهذه المهمة وليس هرتسل هو الذي جند الاموال اليهودية .

لقد تكفل « النظام المالي اليهودي العالمي » بكافة نفقات الحركة الصهيونية حتى قيام « الدولة » . وظل هذا « النظام » يشكل مصدرا أساسيا من مصادر تمويل المنظمة الصهيونية والكيان الصهيوني . كما أن هذا « النظام المالي » هو الذي عقد الشراكة بين الحركة الصهيونية السياسية وبين الدول الامبريالية ، موجدا بذلك مصدرا آخر لتمويل الحركة الصهيونية ولتقديم الحماية السياسية والعسكرية لها . الا ان هذا « النظام المالي » ظل مختفيا وراء الحركة الصهيونية لكي يتيح لهذه الحركة بأن تظهر بمظهر الحركة السياسية القومية المناضلة التي تستحق عطف الرأي العام والقوى السياسية . وبالطبع ظل « النظام المالي اليهودي العالمي » هو المحرك الاساسي وراء جميع النشاطات الصهيونية . وقد صرح رابينوفيتش وزير المال قائلا : « اننا نستدر من اليهود في الشتات ، الامكانات لتثبيت اقتصادنا ، بمعدل نصف مليار دولار سنويا . وهذا يجب ان يحظى بأهتمامنا ، لاننا سنأتي اليهم غدا طالبين الاستثمار والتبرع . وكل ما يحدث في الشتات يؤثر في اسرائيل » (٧) . ان مبلغ نصف مليار دولار ليس مبلغا صغيرا ، فهو يشكل بالنسبة لعدد كبير من بلدان العالم ، يزيد سكان البلد منها على ضعفي سكان « اسرائيل » ، ميزانية كاملة . وفي الحقيقة، اذا استثنينا الدعم العسكري الامريكي ، فان تبرعات واستثمارات « النظام المالي اليهودي العالمي » تبقى أهم مصدر مالي تملكه الحركة الصهيونية ، وبدونه لايمكن للكيان الصهيوني أن يدعي أنه يملك « اقتصادا » . والنتيجة أنه لايمكن تصور استمرار الكيان الصهيوني بدون الاعتماد على هذا النظام المالي .

غير ان العام الذي انقضى على حرب تشرين المجيدة حمل معه مجموعة من التطورات تنذر بتحولات بعيدة المدى وعميقة التأثير على مستقبل العلاقة بين الكيان الصهيوني ككيان سياسي وبين « النظام اليهودي المالي العالمي » . وأهم هذه التطورات هي :

١ — ازدادت احتياجات الكيان الصهيوني المالية زيادة كبيرة ناتجة في الاساس عن تهافت هستيري لدى المجتمع الاسرائيلي على الاستهلاك ، وهذا الازدياد في الاستهلاك كان اكبر من قدرة النظام المالي اليهودي على تغطيته حتى في الاحوال العادية .

٢ — تعرض هذا « النظام المالي اليهودي العالمي » لهزات مالية عنيفة ادت الى خسائر كبيرة ، وذلك في المراكز الاساسية لتجمع رأس المال المالي هذا أي في أوروبا والولايات المتحدة . ففي سويسرا وحدها مثلا أفلست سبعة مصارف يهودية من مجموع ٢٣ مصرفا يهوديا ، ولم يبق سوى ١٦ مصرفا . وهذه المصارف الباقية يتعرض قسم منها لمصاعب خطيرة (٨) .

٣ — حدثت في « اسرائيل » خلال الاشهر الماضية فضيحتان ماليتان كبيرتان أدت الى حدوث ردود فعل عنيفة لدى الاوساط المالية اليهودية في الخارج والداخل على السواء ، وهما فضيحتا بنك اسرائيل — بريطانيا والشركة الاسرائيلية . فقد أفلست هاتان المؤسستان نتيجة لتهريب العملة من اسرائيل الى الخارج لأغراض المضاربة . وقد كان لفضيحة الشركة الاسرائيلية صدى اكبر من فضيحة بنك اسرائيل لان الاولى قد أنشئت عام ١٩٦٨ وسط جو احتفالي لغرض جلب الاستثمارات من المتمولين اليهود وغير اليهود في الخارج الى اسرائيل للقيام بمشروعات ضخمة .

وقد انشغلت الصحف الاسرائيلية خلال الشهرين الماضيين بالتعليق على هاتين الفضيحتين ، مبينة النتائج الخطيرة المترتبة عليهما من ناحيتين :

آ — فمن ناحية أولى أثرت على استعداد المتبرعين لدفع التبرعات للجباية اليهودية . وقد أوردت صحيفة الجيروزاليم بوست على لسان أريه دولتشين ، أمين صندوق الوكالة اليهودية أن دخل الوكالة لعام ١٩٧٤—١٩٧٥ سيعاني نقصا مقداره ٢٥٠ مليون دولار من مجموع ٧٠١ مليون دولار ميزانية الوكالة لهذه السنة ، وهذا النقص يزيد عن ثلث الميزانية (٩) . ومما له دلالته البالغة أن ادموند روتشيلد ، المليونير اليهودي ، ورئيس مجلس ادارة الشركة اليهودية ، قد رفض استقبال بنحاس سبير ، رئيس الوكالة اليهودية ، ووزير المالية السابق ، والرجل الذي كان يوصف بأنه الرجل القوي في حزب العمل الحاكم . وهذا الحادث يعطينا فكرة عن حجم القيادة السياسية الصهيونية مقابل « النظام المالي اليهودي العالمي » ممثلا برمزه روتشيلد . والاخطر من هذا ان روتشيلد أعلن انه سيقاطع نشاطات الجباية اليهودية ، وسيمتنع عن استضافة ٢٥٠ من كبار المتبرعين في قصره في جنيف (١٠) .

ب — ومن الناحية الاخرى ، فان هذه الفضائح قد دفعت عددا من المستثمرين الى الاعلان عن عدم رغبتهم في استثمار اموالهم في اسرائيل ، كما ان آخرين قرروا سحب استثماراتهم منها (١١) .

اننا لا نستطيع أن نتنبأ هنا بالصورة التي ستتخذها العلاقة بين الكيان الصهيوني و « النظام المالي اليهودي العالمي » ، غير أن شرخا قد وقع ، ويستحق أن يتابع باهتمام بالغ .

(٧) — هآرتس ٢٠—١٠—١٩٧٤ . (٨) — هآرتس ١٣—١٠—١٩٧٤ . (٩) — جيروزاليم بوست ، ٨—١١—١٩٧٤ . (١٠) — يديعوت احرونوت ٢٣—١٠—١٩٧٤ . (١١) — هآرتس ٢٤—١٠—١٩٧٤ .

٤ — أما التطور الاخطر الذي حدث خلال السنة التي مرت على حرب تشرين، فهو ازدياد النفوذ الاقتصادي والمالي للعرب، على المستويات المحلية والعالمية. ان توجيه قسم صغير من الاموال العربية نحو مشروعات التنمية وزيادة القدرة الدفاعية للدول التي تتحمل عبء المواجهة سيزرع يأسا نهائيا في قلوب قادة الحركة الصهيونية من امكانية الاستمرار في هذا الصراع . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان غزو الاموال العربية للمعاقل المالية التي اعتاد رأس المال المالي اليهودي أن يتحصن بها عبر سنوات طويلة ، يبعث قلقا عميقا في نفوس قادة الحركة الصهيونية. غير اننا لا نعتبر غزو هذه المعاقل بمثابة انتصارات حقيقية على المدى البعيد . وفي جميع الاحوال فان الاستخدام الامثل لهذه الاموال يتطلب وضعها في خدمة مشروعات تنمية حقيقية في البلاد العربية .

هذه التطورات بمجموعها تزيد من عمق الازمة الصهيونية الحالية . واذا أخذنا جانب العلاقة بين الكيان الصهيوني و « النظام المالي اليهودي العالمي » فاننا نستطيع ان نرى أن هذه التطورات تعتبر تراجعا خطيرا للحركة الصهيونية .

٣ — قضية الهجرة :

اذا كان هناك من مقياس واحد يمكن الاعتماد عليه في قياس نجاح أو فشل المشروع الصهيوني ، فان هذا المقياس هو الهجرة . فقد كانت الهجرة دائما مترابطة مع الازدهار في الكيان الصهيوني ، كما كان انخفاض الهجرة مترابطا مع مظاهر الازمة في هذا الكيان . أما الهجرة نفسها فتقاس بمقياسين : ١ — حجم الهجرة بالارقام المطلقة ، ٢ — نوعية المهاجرين حسب بلدان منشئهم . وتنبع أهمية الرقم المطلق لعدد المهاجرين، من ارتباطه بجباية الاموال التي تجبى عادة باسم استيعاب المهاجرين، ومن الاموال التي يحملها هؤلاء المهاجرون معهم . ان كثافة الهجرة اليهودية الى اسرائيل تحمل معها عادة تنشيطا مكثفا للاقتصاد الاسرائيلي ينتج عن مشروعات الاسكان وايجاد فرص العمل عن طريق بناء مصانع جديدة أو مشروعات اقتصادية ضرورية لتشغيل المهاجرين . وهذا بدوره يؤدي الى تنشيط حركة البناء وزيادة الطلب على مواد البناء والخدمات العديدة المرتبطة بالبناء . كذلك تؤدي الاموال التي يحملها معهم المهاجرون الى ازدياد القوة الشرائية مما يزيد من حجم الطلب على السلع والخدمات. أما أهمية منشأ المهاجرين ونوعياتهم فتنبع أساسا من امكان استفادة الكيان الصهيوني من قوة عمل جاهزة مدربة ومتعلمة، بدون أن يضطر الكيان الصهيوني الى تحمل تكاليف تربية أفراد قوة العمل هذه واعدادها . وكلما كان منشأ المهاجرين مرتبطا ببلدان متقدمة (أوروبا ، أمريكا اللاتينية ، الولايات المتحدة ، الدول الاشتراكية) كلما كانت استفادة الكيان الصهيوني من قوة العمل هذه أكبر .

ان أغرب المفارقات في تجربة المشروع الصهيوني تكمن في عجز الحركة الصهيونية عن استجلاب المهاجرين من البلدان التي نشأت فيها هذه الحركة ، والتي تمارس فيها الصهيونية نشاطات واسعة ، على كافة الاصعدة، والتي تدعي الصهيونية أنها تمارس نفوذا كبيرا على اليهود فيها فالولايات المتحدة الامريكية ، التي يعيش فيها اكثر من ستة ملايين يهودي ، أي أكثر من نصف يهود العالم خارج اسرائيل ، لم يهاجر منها خلال عشرين عاما (١٩٤٨—١٩٦٧) سوى ٢٧ الفا واوروبا الغربية التي تضم اكثر من مليون يهودي ، لم يهاجر منها سوى ٤٨٩١٢ يهوديا ، وامريكا اللاتينية التي يعيش فيها هي الاخرى اكثر من مليون يهودي ، لم يهاجر منها سوى ٩٧١٤ يهوديا ، أي أن القارات الثلاث ، التي يعيش فيها أكثر من ٧٣٪ من يهود العالم خارج « اسرائيل » لم يهاجر منها خلال عشرين عاما سوى ٨٦٣٧٨ يهوديا خلال عشرين سنة ، أي بمعدل ٤ آلاف يهودي سنويا في المتوسط(١٢) .

وليس هذا فقط ، بل ان ميزان الهجرة بين «اسرائيل» وهذه البلدان لايميل لصالح اسرائيل . فقد اعترف بنحاس سبير في تصريح لجريدة يديعوت احرونوت نشرته بتاريخ ١٠ — ٩ — ١٩٧٤ بأن عدد « الاسرائيليين » الذين نزحوا عن اسرائيل الى البلدان الغربية يزيد على ٢٠٠ الف شخص. وهذا يعني أن عدد اليهود الذين هاجروا من اسرائيل الى الغرب يزيد بمقدار الضعفين عن عدد اليهود الذين هاجروا من الغرب الى اسرائيل .

ان اسرائيل لا تستطيع المراهنة على هجرة يهود الغرب . ونستطيع القول أنه لولا هجرة يهود البلدان العربية (الذين لم يكونوا ضمن مخططات الحركة الصهيونية قبل عام ١٩٤٨) لما زاد عدد السكان اليهود في فلسطين المحتلة في هذا الوقت على مليون نسمة وربما أقل من ذلك وبما ان الهجرة من البلدان الغربية متوقفة منذ بداية العمل الصهيوني ، وبما أن الجاليات اليهودية في البلدان العربية قد انتهت تقريبا ، فان المصدر الوحيد للهجرة الذي بقي هو الاتحاد السوفياتي. ولهذا السبب وضعت الحركة الصهيونية كل ثقلها ، منذ عام ١٩٧٠ ، من أجل فتح أبواب الهجرة لليهود السوفيات . وتدرك الحركة الصهيونية أن باب الاتحاد السوفياتي هو آخر الابواب . فاذا أغلق هذا الباب فان حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ستتوقف تماما . ولهذا تتابع الصحافة الصهيونية بمنتهى القلق انباء هجرة يهود الاتحاد السوفياتي . ومصدر قلق المسؤولين والصحافة في اسرائيل بشأن هجرة يهود الاتحاد السوفياتي ، لا يتعلق فقط بتناقض حجم الهجرة من الاتحاد السوفياتي ، ولكن بامتناع اليهود الذين يخرجون من الاتحاد السوفياتي ، عن اكمال طريقهم نحو اسرائيل ، وهو أمر أخطر من عدم خروجهم من الاتحاد السوفياتي . فقد كتبت صحيفة دافار بشأن موضوع المهاجرين السوفيات : « ان نسبة عزوف اليهود السوفيات عن الهجرة الى اسرائيل عن

١٢ — كتاب اسرائيل السنوي ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٩

طريق فيينا ارتفعت في الاسابيع الاخيرة الماضية الى ٢٧٪ وقال المراسل بأن نسبة العزوف في فيينا آخذة في التزايد من يوم لآخر، رغم أن رؤساء قسم الهجرة في الوكالة اليهودية يقدرون بأن هذه النسبة لن تزيد عن ثلاثين بالمئة . واضاف المراسل بأنه اذا ضممنا اسماء اليهود السوفيات المقيمين في البلاد والذين ينزحون عنها الى نسبة الذين يعزفون عن الهجرة الى هنا عن طريق فيينا ، لتبين لنا بأن ما يقارب ثلث اليهود الذين يهاجرون من الاتحاد السوفياتي لا يتوجهون الى اسرائيل .» (١٣) ولم يكد يمضي اسبوع واحد على تنبؤ رؤساء قسم الهجرة بنسبة الذين سيمتنعون عن مواصلة طريقهم الى اسرائيل من اليهود السوفيات ، حتى كتبت صحيفة هآرتس بأن « عدد المرتدين عن الهجرة الى اسرائيل وصل الى ٥٠٪ » (١٤) وقبل كتابة هذا الخبر بزهاء شهر ، سافر بنحاس سبير ، رئيس الوكالة اليهودية في جولة يزور بها أوروبا وأمريكا وجنوبي افريقيا ليجمع « ٣ ملارات ليرة اسرائيلية على أقل تقدير لاستيعاب المهاجرين عام ١٩٧٥ » (١٥) ولكن ماذا يحصل اذا لم يأت المهاجرون لا في عام ١٩٧٥ ولا في عام ١٩٧٦ ؟ بأية حجة يمكن حينئذ جمع « ٣ مليارات ليرة على الاقل » ؟ واذا لم تجمع هذه المبالغ ، فكيف يمكن تشغيل « الاقتصاد » الاسرائيلي الذي يقوم على عمودين : «صناعة الاستيعاب» و « صناعة الحرب » ؟ بالنسبة لصناعة الحرب ستتكفل الولايات المتحدة بتشغيلها وتمويلها ، ولكن في مجال صناعة الاستيعاب بدأت النتائج تظهر : فقد نسبت صحيفة يديعوت احرنوت الى الحارس القضائي للمتلكات (سنديك التفليسات) ابراهام بلوم تصريحا يقول فيه : « لقد حدث ارتفاع كبير في عدد المصانع التي تفلس في الايام الاخيرة. ففي الفترة بين كانون الثاني — نيسان من العام الحالي قدم فقط ١١ طلب اعلان افلاس ، لكن في الاسبوع الماضي فقط وصل عدد طلبات اعلان الافلاس الى ٢٠ طلبا . أما نوع هذه المصانع فهي البلاستيك والمنسوجات ومواد البناء » (١٦) . وتترافق عمليات الافلاس مع عمليات النزوح — النزوح الداخلي أولا يتلوه مغادرة البلاد . وقد اشارت صحيفة هامودبع الى هذه الظاهرة بقولها : « قال رئيس البلدية (الناصرة العليا) لمراسل وكالة عيتم يوم ١٠ — ١١ — ١٩٧٤ ، أن كثيرين من سكان المدينة يغادرونها شهريا بحثا عن سبل عمل جديدة وخاصة بعد اغلاق مصنعين محليين بسبب الافلاس » (١٧) . ان ظاهرة ارتباط مستوى النشاط الاقتصادي بمستوى الهجرة والنزوح ، قد برزت في السنتين اللتين سبقتا حرب حزيران عام ١٩٦٧ ففي هاتين السنتين تناقصت الهجرة بصورة كبيرة ، وحدث نزوح كبير ، وترافق تناقص الهجرة والنزوح مع انكماش اقتصادي شديد . وفي الفترة الحالية نجد الظاهرة نفسها : انخفاض في الهجرة ، ازدياد في النزوح وانكماش في النشاط الاقتصادي. وقد لاحظ هذا التشابه بين عناصر الازمتين : الحالية وتلك التي سبقت حرب حزيران ، كثير من المعلقين الاسرائيليين والغربيين .

ان ربطنا بين تضاؤل الهجرة والنزوح وبين الانكماش الاقتصادي يعود الى التأثير الكبير الذي يحدثه تزايد الهجرة على النشاط الاقتصادي. ويجب ان لا ننسى هنا أن نفقات استيعاب المهاجرين لا تقع على عاتق الاقتصاد الاسرائيلي، بل تتكفل بها صناديق الجباية اليهودية ومساعدات حكومة الولايات المتحدة . وهذا الامر يمكننا من صياغة العلاقات بين النشاط الاقتصادي والهجرة على الشكل التالي : **ان الاقتصاد الاسرائيلي يقوم أساسا على صناعة الاستيعاب . ويتم تشغيل موجة المهاجرين التي تصل أولا في عملية «استيعاب» الموجة التي تتلوها . وبعد ذلك يتم تشغيل الموجتين في الاعداد لاستيعاب الموجة الثالثة وهكذا .** ونستطيع الاستنتاج من هذا القانون الصهيوني أن توقف الهجرة أو تضاؤلها يؤدي في حال حدوثه الى ارباك شامل للالة الصهيونية . واذا لم يكن الامر كذلك فكيف نستطيع تفسير استماتة الحركة الصهيونية في محاولة استقدام ما يزيد على ٧٠ ألف مهاجر في عام ١٩٧٥ في الوقت الذي تضطر فيه الحكومة الصهيونية الى تخفيض مستوى المعيشة في الكيان الصهيوني بنسبة ٢٠٪ ، وفي الوقت الذي تعلن فيه هذه الحكومة عن أن احتياطي العملة الصعبة لا يكفي لاكثر من استيراد شهرين ، وفي الوقت نفسه الذي تعلن فيه ان تكلفة استيعاب المهاجرين تبلغ ٦٥٠٠٠ دولار لكل عائلة ؟!! ✻

ان مراقبة مؤشر الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة لاتقل أهمية عن مراقبة النشاط العسكري . ونستطيع الزعم أن قرارات الحرب والسلم لا تقل ارتباطا بمؤشر الهجرة عن ارتباطها بالعوامل العسكرية البحتة . ولا بأس هنا من صياغة قانون آخر من قوانين حركة الكيان الصهيوني : **ان ميل الصهيونية للحرب يتناسب تناسبا عكسيا مع حركة الهجرة التي تتناسب معها تناسبا طرديا مؤشرات النشاط الاقتصادي ،** أي كلما انخفضت حركة الهجرة ازداد ميل الحركة الصهيونية لشن الحرب ، وكلما تصاعدت حركة الهجرة مالت الصهيونية الى تأجيل شن الحرب .

٤ — المؤسسة العسكرية الصهيونية :

اذا كانت الحركة الصهيونية ، ممثلة « النظام المالي اليهودي العالمي » قد استهدفت من وراء اقامة « الوطن

---

١٣ — دافار ١٢—١١—١٩٧٤ . ١٤ — هآرتس ١٩—١١—١٩٧٤ . ١٥ —يديعوت احرونوت ، ٢١—١٠—١٩٧٤ . ١٦ — يديعوت احرونوت ١٦—١١—١٩٧٤ . ١٧ — هامودبع ١١—١١—١٩٧٤ .

✻ تبلغ نفقات استيعاب ٢٠٫٠٠٠ عائلة ، على هذا الاساس ، ١٫٣ مليار دولار ، وهو مبلغ يكفي في حالة تحويله من الخارج الى اسرائيل ، لتشغيل الاقتصاد الاسرائيلي سنة اخرى بدون عجز .

القومي اليهودي » تأسيس « مركز مالي تجاري » عالمي على الارض الفلسطينية ، فانها ادركت أن تحقيق هذا الهدف لا يتم الا بالتحالف مع رأس النظام الامبريالي العالمي الذي استهدف من وراء دعمه للحركة الصهيونية اقامة قاعدة قوية يرصد من خلالها تحركات القوى الوطنية في المنطقة العربية، وبواستطها يقوم بضرب هذه التحركات .

وقد بدا في لحظات الانتصار العسكري في حزيران ١٩٦٧ ان الهدفين — الاستعماري والصهيوني — قد تحققا. فقد كانت الضربة من الشدة بحيث اوهمت القوى الاستعمارية أن حركة التحرر الوطني العربية قد اصيبت بالكساح ، واوهمت القوى الصهيونية انه لم يبق أمام الشعوب العربية سوى القبول بالوجود الصهيوني . لقد كان اعتقاد الحركة الصهيونية أن حرب حزيران ١٩٦٧ هي آخر الحروب وانه قد حان الوقت لتنفيذ المشروع الصهيوني وقد عبر آريبه الياف الذي كان سكرتيرا لحزب العمل الحاكم عن جوهر المشروع الصهيوني في كراس له اصدره عام ١٩٦٩ بعنوان « اهداف جديدة لاسرائيل » ، حيث قال « ان اسرائيل نتيجة موقعها وعلاقاتها بيهود العالم تستطيع أن تطور شبكة مصرفية ومركز تخليص لرأس المال الدولي اليهودي وغير اليهودي ، وهكذا سيعاد زرع التاجر والمالي اليهودي وحذق اليهودي في التجارة والشؤون المالية في اسرائيل فتزدهر هذه من جديد ، ولا تكون ضرورة للاعتذار بسبب دورها في المجتمع » . هذا المركز التجاري المالي ، لا يكفي لقيامه أن يكون « آمنا » بل يجب أن يكون « معترفا به » . ان هناك فرقا دقيقا بين ان يكون مركزا آمنا وبين أن يكون معرفا به . فتوفير الامن للكيان الصهيوني يمكن تحقيقه بأكثر من طريقة . احداها : أن تتعهد دول كبيرة مثل الولايات المتحدة بضمان أمن هذا الكيان . وفي عالمنا هذا لا يمكن أن نتخيل ضمانا اعظم من ضمان الولايات المتحدة .. فاذا كان استعداد الولايات المتحدة لضمان أمن «اسرائيل» غير كاف ، فأي ضمان بعد هذا يكفي ؟!! .

ان « الامن » لا يمكن ان يكون هدفا نهائيا للحركة الصهيونية . ان « الاعتراف » هو الذي يحقق الاهداف الصهيونية . وبما ان الاعتراف لايمكن ان يمنح بل يجب ان ينتزع انتزاعا ، فقد وجب الاحتفاظ بقوة عسكرية **ضاربة** قادرة على فرض الاعتراف بالكيان الصهيوني ، أي توفير مستلزمات اقامة مركز تجاري مالي لرأس المال اليهودي .

في هذه النقطة تتقاطع المصلحة الصهيونية مع المصلحة الاستعمارية . فالقوة الضاربة للحركة الصهيونية اللازمة لفرض « الاعتراف » هي القوة نفسها الضاربة التي يحتاجها الاستعمار لقمع حركة التحرر الوطني العربية .

ومن التقاء هاتين القوتين نبع ما يسمى « العقيدة العسكرية الاسرائيلية » والتي تدور كلها حول محورين :

آ — ضرورة نقل المعركة الى أرض العدو .

ب — الاحتفاظ بالمبادرة ، أي ما يسمى بحق الضربة الاولى .

ان قدر الكيان الصهيوني مربوط بهذين المحورين . ان القيادة الصهيونية تدرك ادراكا عميقا ان احتمال اجتياح الجيوش العربية للارض الفلسطينية وتصفية الوجود الصهيوني على يد هذه الجيوش أمر بعيد الاحتمال في الزمن المنظور . اذ تستطيع الولايات المتحدة مثلا ، عند تطور المعارك الى حد معين ، ان تتدخل لايقاف الجيوش العربية عند حدود معينة . ولكن القلق الصهيوني ينبع بالضبط من محوري «العقيدة العسكرية الاسرائيلية» . فاذا كان مقياس نجاح « القوة العسكرية الضاربة » يكمن في تطبيق هذين المبدأين ، فان مقياس فشل « القوة العسكرية الضاربة » يكمن في عدم تمكين القيادة الصهيونية من تطبيق هذين المبدأين . وهذا الذي اعطته لنا حرب تشرين . فالمبادرة في هذه الحرب كانت بيد الجيوش العربية ، وعلى التخصيص بيد الجيشين السوري والمصري . وبالاضافة الى هذا لم تتمكن القيادة العسكرية الصهيونية من تطبيق مبدأ « نقل المعركة الى أرض العدو » بصورة اساسية . يجب أن نقول هنا ان الجيش الاسرائيلي لم ينهزم في حرب تشرين بالمعنى العسكري الفني لكلمة هزيمة . ولكن « العقيدة العسكرية الاسرائيلية » هزمت بصورة مؤكدة . وهذا معنى العبارة الشهيرة « ان اسرائيل كسبت الحرب تكتيكيا وخسرتها استراتيجيا » .

فما هو مدلول هذا التحول ؟ ان الطفيلية التي يتميز بها الاقتصاد الاسرائيلي ، والتي تجعله أقرب الى اقتصاد « حارة » منه الى اقتصاد دولة ، تنطبق ايضا على القوى العسكرية الاسرائيلية . فمن المعروف أن النفقات العسكرية لا تشكل عبئا على « اقتصاد » اسرائيل تماما كما أن هذا « الاقتصاد » لا يتحمل نفقات الهجرة والاستيعاب . ولكن كثيرا من الدول تتلقى مساعدات عسكرية من دول أخرى ، فما الشيء الذي يميز الجهاز العسكري الاسرائيلي ؟ ان الجهاز العسكري الاسرائيلي لا يتم تسليحه فقط وانما تمويله أيضا من قبل الولايات المتحدة . وعملية التمويل هذه تجعل من المؤسسة العسكرية الصهيونية ، محورا هاما من المحاور التي يدور حولها النشاط « الاقتصادي » الصهيوني . فبفضل هذا التمويل ، وبفضل تزويد اسرائيل بالقدرة الفنية امكن اقامة صناعة عسكرية تتلقى طلبياتها بصورة رئيسية من المؤسسة العسكرية . وقد نمت هذه الصناعة العسكرية بدرجة جعلت منها « أكبر تجمع صناعي في اسرائيل » ، فقد بلغ عدد العاملين في هذه الصناعة (الاجهزة العسكرية والطيران) نحو ٩٠٫٠٠٠

مستخدم عام ١٩٧١ . كما أن انتاج هذه الصناعة الذي بلغ ١٠٠٠ مليون ليرة عام ١٩٦٩ ، تضاعف خلال سنتين فبلغ ٢٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٧١ . (١٨) وقياسا على هذه الارقام ، وعلى وتيرة النمو ، يمكننا الافتراض ان عدد العاملين في هذه الصناعة قد تضاعف كما تضاعف انتاجها، وخاصة بعد مضاعفة الميزانية العسكرية بعد حرب تشرين ، وازدياد طلبيات الجيش بعد هذه الحرب لتعويض خسائره .

ان تأثير تمويل المؤسسة العسكرية الصهيونية من قبل الولايات المتحدة ، لا يقتصر على الصناعات العسكرية ، فالميزانية الضخمة للمؤسسة العسكرية تنعكس على عدد كبير من الصناعات المدنية والخدمات التي يقدمها القطاع المدني . وبهذا يمكن تشبيه عملية تمويل المؤسسة العسكرية الصهيونية ، من حيث التأثير على النشاط الاقتصادي ، بعملية أكتشاف حقل نفط كبير في فلسطين المحتلة .

وبما ان هذه الحقائق معروفة بصورة جيدة داخل الكيان الصهيوني ، فان أي دعوة لتخفيض الانفاق العسكري تعني بالضرورة دعوة لزيادة العطالة ولايقاف النشاط الاقتصادي . ولهذا لا نجد مسؤولا أو كاتبا أو مفكرا يدعو للحد من الانفاق العسكري . ولعل هذا يوضح سبب عدم فعالية دعوة « اسرائيل » الى انتهاج سياسة تؤدي الى الغاء الحاجة لميزانيات الحرب الكبيرة عن طريق تخفيف حدة التوتر .

غير أن هناك شروطا أساسية للاستفادة من ميزانية عسكرية كبيرة ، أهمها أن تكون الحروب التي تخوضها « اسرائيل » حروبا مفصلة حسب احتياجات الكيان الصهيوني ، أي أن تكون هذه الحروب قصيرة ، مضمونة النتائج ، رخيصة التكاليف ، مدعومة من قبل قوى كبرى . وهذه الشروط لم تتوفر في حرب تشرين ومن هنا تنبع الازمة الحقيقية للمؤسسة العسكرية الصهيونية ، ليس فقط من نتائج حرب تشرين ، ولكن من الشك بأن لا تختلف الحروب القادمة عن حرب تشرين أو تكون أسوأ منها .

٥ ــ الفكر الصهيوني :

هناك أزمة يطلق عليها المسؤولون الصهيونيون اسم الازمة « الروحية » . وتبرز مظاهر هذه الازمة في فقدان الثقة بالقيادة الصهيونية ، وبالكفر بالمقولات الصهيونية .

فقد صرح الوزير غاليلي في مقابلة له مع صحيفة يديعوت احرنوت قائلا : « لقد أصطدمت مؤخرا بظواهر تدعو الى القلق من الوهن والضعف القومي ، لقد اصبحنا نسمع صيحات تشكك في عدالة نضالنا من أجل تغيير حدودنا ، ونسمع عن عدم حقنا في الاستيطان وراء الخط الاخضر . » (١٩) ان ما يخشاه الوزير ليس الشك في عدالة الاستيطان وراء الخط الاخضر ، ولكن أن ينتقل هذا الشك الى عدالة الاستيطان ضمن الخط الاخضر . فخط الهدنة لا يستطيع أن يمنع تسلل الشك .

وربما تكون قضية الاستيطان في الاراضي المحتلة (١٩٦٧) أخطر قضية يواجهها الفكر الصهيوني. فالذي كان عملا بطوليا ورياديا ويستحق التخليد أصبح عملا تمنعه الحكومة بقوة البوليس والجيش .

استنتاجات :

ان الازمة التي تمر بها الصهيونية ، أزمة تشمل جميع جوانب الحركة الصهيونية . فالسلطات الصهيونية تشعر بالعجز عن ايقاف عملية اندفاع فئات متزايدة من السكان اليهود نحو التعيش الطفيلي المترافق مع التهافت على زيادة الاستهلاك ونقص الانتاج . ومن ناحية ثانية يشهد الكيان الصهيوني أزمة في العلاقات مع النظام المالي اليهودي نتيجة للفضائح المالية ونتيجة للازمة المالية العالمية ، مما يؤدي الى نقص واردات الكيان الصهيوني .

والاخطر من هذا أن آخر أمل للهجرة اليهودية الكبيرة قد أخذ يذوي بصورة متسارعة . ولا تتوقع الحركة الصهيونية أية هجرة ذات قيمة حقيقية من قارات اوروبا وامريكا الشمالية والجنوبية . وبالاضافة الى هذا فان الجيش الاسطوري قد زالت الهالة من حوله وفقد قدرته على الردع . ويرى الصهيونيون بهلع تعاظم القوة العربية على كافة الاصعدة العسكرية والاقتصادية والسياسية . ولقد اعتادت الصهيونية في الماضي أن تحل هذه المشاكل جميعها عن طريق حرب ناجحة خاطفة قليلة التكاليف . وحتى لو كانت هذه الحرب مغامرة غير مضمونة النتائج ، فان من المؤكد ان الحركة الصهيونية لن تجد حلا آخر في الظروف الحالية . والا فستجد الصهيونية نفسها تتفكك من الداخل وتنهار .

١٨ ــ ديلي ستار ، ١٩٧٢/١/٣١ . ١٩ ــ يديعوت احرونوت ١٩٧٤/٨/٣٠ .

المأزق الاسرائيلي تجاه التمثيل الفلسطيني

منذ بدء النشاطات الدبلوماسية الامريكية في المنطقة بواسطة وزير خارجيتها الدكتور هنري كيسنجر حول فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية مع اسرائيل، كانت تواجه الدبلوماسي الامريكي المشكلة التي هي اساس النزاع في الشرق الاوسط ــ المشكلة الفلسطينية .

لقد امكن تأجيل البحث في القضية الاساسية الى مرحلة لاحقه تلي وقف القتال واعادة ضخ النفط العربي الى الغرب . لكنها بقيت قضية يتجنبها الدكتور كيسنجر كلما تناولها الحديث .

اصبح اليوم واضحا ان الاتفاق الذي تم بين كيسنجر والقادة الصهاينة بشأن « تسوية » القضية الفلسطينية ، يقضي بان تبادر اسرائيل الى تسوية منفردة مع الملك حسين ، والتوصل معه الى اتفاقية سلام ، لقطع الطريق على منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف) التي يتزايد نفوذها باستمرار على كافة الاصعدة .

لقد قيل لرابين في واشنطن اثناء زيارته الاخيرة هناك : « اذا اصرت اسرائيل على عدم اجراء مباحثات مع حسين حول الانسحاب من غور الاردن ، فستكون هي المسؤولة وحدها عن زيادة قوة حركة الفدائيين الفلسطينيين، وسيكون ذلك على حساب الملك حسين » (١) . وكان الامريكان اكثر وضوحا عندما دار الحديث في واشنطن بين اسحاق رابين وكسينجر « واتفقا على اولوية التقدم نحو تسوية مع الاردن لمنع قيام كيان فلسطيني او حتى دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة » (٢) .

ردود الفعل على مؤتمر الرباط :

نشرت جميع الصحف الاسرائيلية في افتتاحياتها صباح الرابع من تشرين الثاني خطاب رئيس الحكومة الاسرائيلية رابين امام حكومته الذي اعلن فيه رفضه القاطع لمقررات الرباط. وقالت صحيفة معريب في افتتاحيتها في ٤ / ١١ / ١٩٧٤ : « لقد أبقت الحكومة على قرارها السابق وخلصت الى أن موقفها ما زال كما هو ، بأن حكومة اسرائيل مستعدة للتفاوض من أجل السلام مع الاردن ، وانها تعارض في اقامة دولة عربية غربي نهر الاردن » . واضافت الصحيفة بأن الحكومة في اجتماعها ذاك قد رفضت أيضا المقترحات التي أعيد طرحها من قبل وزراء المبام والوزير موشيه كول والقائلة : « من المناسب أن تجد اسرائيل مناسبة لأن تعلن استعدادها للتفاوض لحل القضية الفلسطينية أيضا في اقامة دولة عربية واحدة ــ هي الاردن ، مع جهة فلسطينية تعترف بدولة اسرائيل وسيادتها وتتنصل من كل عمل فدائي ضدها » (٣) .

فاسرائيل ترفض التفاوض مع ممثلي الشعب الفلسطيني حتى ولو كانت المفاوضات في اطار محادثات اردنية اسرائيلية. وحتى يكون السيد اسحق رابين واضحا جدا سارع الى الاعلان بأن « اسرائيل لن تتفاوض مع المخربين حتى لو جاؤونا متنكرين بثياب الملك حسين » (٤) .

كما نشرت الصحف الاسرائيلية تصريحات كثيرة لمسؤولين اسرائيليين بنفس الروح كان آخرها ما صرح به وزير الخارجية الاسرائيلي يغال آلون في مؤتمر صحفي عقده في القدس قبيل طرح القضية الفلسطينية في الامم المتحدة حيث قال : « اسرائيل ليست مستعدة لاجراء أي مفاوضات مع المنظمة التي تعلن صباح مساء أن هدفها هو ابادة دولة اسرائيل » .

اسرائيل ما زالت تراهن على الاردن .

يسود الاعتقاد لدى الاسرائيليين بأن الاردن قد وافق على ما وافق عليه في مؤتمر قمة الرباط مضطرا « وتحت التهديد بقطع المعونات المالية المخصصة له اذا لم يمش في التلم » (٥) . ومن الناحية الثانية فما زال الاسرائيليون يراهنون على أن المقررات العربية لا تعدو كونها حبرا على ورق. فقد قال ذلك اسحق رابين صراحة : « ان الكلمات على حدة والاعمال على حدة ، وليس هناك ما يمكن استخلاصه بعد بخصوص الاردن » (٦) . وحول

(١) ــ من مقال لمراسل معريب في واشنطن . ش . سيجف ١٦ / ٩ / ١٩٧٤ . (٢) ــ المصدر نفسه . (٣) ــ المصدر نفسه . (٤) ــ عل همشمار ، ١ / ١١ / ١٩٧٤ . (٥) ــ معريب ٤ / ١١ / ١٩٧٤ . (٦) ــ عل همشمار ، ١ / ١١ / ١٩٧٤ .

النقطـــة ذاتهـــا كتبت معريب في ٤ / ١١ / ١٩٧٤ : « ان الحكومة الاسرائيلية تراقب ما يجري حاليا في الاردن بعـــد مؤتمر الرباط . من الواضح أن الملك حسينا وجـــد نفسه وحيدا في المؤتمر ، فحتى الدول غير المتطرفة كالسعوديـــة والمغرب ، لم تكتف بأنها لم تحرك ساكنا لمصلحته فحسب ، بـــل مارست عليه ضغطا لقبول القرار المتعلق بمنظمـــة التحرير الفلسطينية » .

لكن اسرائيـــل لا تكتفي بأن تذرف الـــدموع بسبب الضغوط التي وجهت الى الملك حسين . فقد قالت جريدة عل همشمار لسان حال حزب المبام : « ان اسرائيل لا تهمل الاردن « كطرف » في المحادثات معه حول تسوية سياسية في المنطقة . رغم استعداد الملك حسين للاعتراف بمنظمـــة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني ورغم موافقته على اقامة دولة فلسطينية مستقلة ، فان اسرائيل ترى هناك امكانية للتفاهم معه واعطائه متسعا من الوقت بغية تثبيت استراتيجيته » (٧) .

سبل المساومة العنيفة :

يبدو ظاهريا وكأن اسرائيل تراهن على موقف حسين « النهائي » من القضية الفلسطينية الذي لم يعبر عنه الملك بعد بصورة عملية قاطعة . ولكن ما هي سبل المساومـــة المتبقية لـــدى الملك حسين حول الضفة الغربيـــة والكيان الفلسطيني كشعب وكدولـــة . يجيبنا معلق عل همشمار السياسي امنون كابليوك في مقال طويل كتبه في جريدته في ١ / ١١ / ١٩٧٤ تحت عنوان : رغم الرباط ما زالت هناك أوراق رابحة بيد الملك حسين . يقول الكاتب : « لقد كان أمام الملك حسين امكانيتان : الاولـــى ، أن يرفض القرار المتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية الذي يجرده من كـــل ادعاء بالسيادة علـــى الضفة الغربيـــة ، وأن تسلك عمان السبل التـــي كانت تسلكها في الماضي عندما كانت تتخـــذ القرارات العربية ضد الاردن حيث كانت تعلن : ان الاردن غير مستعـــد للالتزام بتلك القرارات . الثانية ، أن يتقبل الاردن القرار وحتى أن يباركه وأن لا ينسحب من المعسكر العربي على أمل أن التطورات سوف تثبت في المستقبل أنه لا يمكن التوصل الى تسوية اسرائيلية فلسطينية بدون أن يكون الاردن طرفا فيها » . وبعد أن يقول الكاتب بأن الملك قد اختار الامكانية الثانية بعـــد محاولته المستميتة لاقناع العرب بأن انتزاع الضفة الغربية منه ولو نظريا في الوقت الحاضر سوف لا يؤدي الا الى تعقيد الامور ولن يأتي بأي خير للفلسطينيين ، يطرح الكـــاتب المبامي كابليوك أمـــام « حسين » الفرص المتبقية أمامه للمساومـــة او كما يقول الاوراق الرابحة التي ما زالت لديه، في نقطتين أساسيتين:

١ ـــ « لـــدى الملك حسين امكانية للمناورة في كـــل ما يتعلق بالاشتراك في مؤتمر جنيف ، لأن الكـــل يعلم بأن انسحاب الاردن من جنيف من شأنه أن يخلق وضعا جديدا يثقل على الجهود الرامية الى حل النزاع في المنطقة والذي مـــن شأنه أن لا يروق في أعين المصريين . فبامكـــان الملك حسين اذن أن يطرح شروطا وحتى يساوم على كل ما يتعلق باشتراكه في مؤتمر جنيف . وليس هناك ما يمنعه مـــن ان يجرب هـــذه الورقة ليغير شيئا ما مـــن القرار الفلسطيني الذي اتخذ في الرباط لكي يبقي للاردن على موطىء قـــدم في الضفـــة » .

٢ ـــ « بالاضافة الى هذا فكل الـــدلائل تشير الى أن مؤتمر الرباط قد اتخذ قرارا حول جهود عسكريـــة جديدة الـــى جانب الجهود السياسيـــة . فاذا صحت التقـــارير الواردة من الرباط ، فان القمة العربية قد أقرت دعما كبيرا لكل دول المواجهة ، لكن ذلك سيكون في اطار جبهة شرقية سوف يقوم ببحث تفاصيلها كل من قادة مصر وسورية والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينيـــة . ويدور الحديث عـــن ٢ر٣ **مليار دولار تمنحهـــا دول** النفط العربية للاطراف الاربعة التي ذكرناها ، ولا يمكننـــا تصور قيام جبهـــة شرقية والحالة هذه بمعزل عن الاردن . وهنا أيضا بامكان الملك حسين ان يضع شروطا معينـــة تحول دون خضوع اردني آخر للاملاءات العربية » . واخيرا يخلص الكاتب الى القول : « يخطىء اولئك الذين يمسحون الاردن مـــن خارطة الاطراف الفعالة في الساحة . ما زالت في جعبـــة الملك حسين ما تبقى من سبل المساومة الضيقة والا فانـــه في نهاية الامر هو الخاسر في اللعبة لمصلحة الفلسطينيين » .

يبدو للقارىء غير المطلع على النوايا الحقيقية للسياسة الاسرائيلية ان اسرائيل تندب حظها على خروج الملك حسين «تاريخيا» من الضفة الغربية ، لانها اضاعت فرصة ذهبية لتسوية مع الاردن تنشر السلام على حدودها الشرقية . فحتى نكون على بينة من امرنا سنحاول ان نجد الاجابة على الاسئلة التالية :

● لماذا لم تعلن اسرائيل قبل صدور قرارات الرباط عن استعدادهـــا لانسحاب ولو كان جزئيا مـــن الضفـــة الغربية ، كبداية نحو تسوية شاملة مع « الاردن » ؟

● وكيف وما زالت ترى اسرائيل تلك « التسوية » المزعومة مع الاردن ؟

● وهل كان الاعتراف بمنظمـــة التحرير الفلسطينية في الرباط مفاجأة لاسرائيل في المرحلة الحالية ، ام انه رد طبيعي فرضته جوهر الحركة الصهيونية العدوانيـــة المتناقضة مع حرية الشعوب وتطورها وتقدمها ؟

١ ـــ من المعروف أن الملك حسينا نفسه حـــاول في السنتين الاخيرتين ان يعرض على الاسرائيليين « تسوية » تعيد اليه ولو قسما صغيرا من الضفة الغربية الى حـــد ذهب معه لان يجلس مع القائدين الصهيونيين، ديان ـــ مئير وجها لوجه « في سيارة مكيفة (٨) » ، عدا عن اللقاءات التي أعلن عنها مؤخرا في لندن وفي واشنطن . ولم يكن لديه ما يقنع به الاسرائيليين لاعادة الضفـــة الغربية أو قسم منها غير ثورة الشعب الفلسطيني التي بدأت تهدد الاثنين

(٧) ـــ عل همشمار ، ٥ ـــ ١١ ـــ ١٩٧٤ . (٨) ـــ يوسف حريف ـــ معريب ، ١٦ ـــ ٨ ـــ ١٩٧٤ .

معا . لقد اقترح حسين عـــدة مشاريع للتسوية مـــع الاسرائيليين ابتداء من مشروع المملكة المتحدة الى ما عرف في امريكا مؤخرا (« بالانسحاب الافقي (٩) » الذي طرحه روجرز مؤخرا على يغال آلون لدى زيارته الاخيرة لواشنطن في الصيف الماضي مقابل « الانسحاب العمودي (١٠) » الذي يطالب به الملك حسين في الوقت الحاضر (١١) وكان الملـــك حسين علـــى استعـــداد لتوقيـــع اتفاقيـــة صلح منفردة مع اسرائيل اذا ما استجابت لطلبـــه . لكن اسرائيل رفضت كل مقترحـــات حسين وحتى مقترحـــات امريكا التي كانت تطالبها « بزحزحة » حدودها في الضفة الغربية . ولم تكن اسرائيل ترمي من وراء مناوراتهـــا في المراوغة بين الانسحاب وعدم الانسحاب ، بالتسوية مع الاردن أو عدم التسوية ، الاستيطان في الضفة الغربية حاليا ام عدم الاستيطان ، في تنفيذ برنامج ديان الرامي الـــى الحاق الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي أم عدم الحاقها، الا الى كسب الوقت الضروري جدا بالنسبة لاسرائيـــل لاستعادة قوتها من جديد ورد اعتبارها العسكري والسياسي الذي هزته حرب اكتوبر ، لكي تواصل سياستها التوسعية وضرب الدول العربية التقدمية المواجهة لها بقصد الوصول الى اخضاع المنطقـــة واستمرار النهب الاستعمـــاري لثرواتها .

٢ ـــ **دبلوماسيـــة الالفاظ :** يقول المعلـــق السياسي المطلع يوسف حريف في مقاله في معريب ١٩٧٤/٩/٣ قبيل زيارة اسحاق رابين الاخيرة الى واشنطن : « مع أن رئيس الوزراء يوافق على أنه لا توجد امكانية للاستمرار في الوضع القائم (تمشيا مـــع الرأي الامريكي القـــائل بوجوب عدم تجميد الوضع في الشرق الاوسط كي يتاح لمهمة كيسنجر الرامية الى مواصلة ضخ النفط وتخفيض سعره وابعاد نفوذ الاتحاد السوفييتي عن المنطقة» الاستمرارية والنجاح)، فهو مستعد للبحث عن تسويات سياسية ❊ » . وقد سبق أن قال رئيس الحكومة في مناسبات عدة : « لا تستطيع اسرائيل أن تقبل بتسويات سياسية تحت كل شرط وبكل ثمن . ولهذا من الجائز أن يخلق وضع تضطر فيه اسرائيل لاظهار التعنت حتى ولو هددوها بالحرب(١٢) . ولكن التسوية التي يتحدث عنها الكـــاتب بلسان اسحـــاق رابين لا تعني لا الضفـــة الغربيـــة ولا تعني الجولان ، بل تعني انسحابا جزئيا من صحراء سيناء يكون ثمنه تعهدا سياسيا من قبل مصر بعدم اللجوء للحرب ، ومن ثم تكريس الوضع القائم هناك . ويواصل كلامه : « غير انه اذا كان هناك خطر حرب فعلي من جانب مصر وسورية اذا لم تنسحب اسرائيل من جميع المناطق المحتلة فلماذا يجب التوصل الى تسويـــة جزئية مع الاردن الذي يعني انسحابا اسرائيليـــا ؟ . وفوق ذلك كله ، فحتى لو لم يكن هناك خطر حرب فعليه ، فان معنى التنازل الاقليمي في الضفة الغربية ، مهما كان ضئيلا، فانه سيؤدي الى ارباك العلاقات بين اسرائيل وسكـــان الضفة الغربية وعرب اسرائيل الذين كـــان لحرب الغفران وقع كبير في نفوسهم . وبسبب هذه التعليلات الموضوعية وعلى اساس القول بان التسوية مع الاردن تستلزم اجراء انتخابات عامة ❊❊، وسيبذل رئيس الوزراء كلما في وسعه ليمنع اللجوء الى ذلك ... وعلى كل حال فان رأي رئيس الوزراء ، الذي يواجه أول اختبار حقيقي له قبل سفره الى واشنطن ، والذي فيه دلائل التورط الاكيد ، سيحاول ان يوجه الحكومة للسير في طريق هو مقتنع بها وهي التوصل الى تسوية جزئية اخرى مع مصر ولكن ليس بكل ثمن » .

ويعفينا وزير الدفاع الاسرائيلي من مهمة تخمين نوايا اسرائيل بخصوص مستقبل الضفة الغربية عندما يقول في تصريح له نشرته معريب في ١٩٧٤/٩/٣ :« نحن مستعدون للتحدث مع الاردن عن السلام ولكننا لن نعيد له الاراضي » .

٣ ـــ عودة الى القوة :

عادت اسرائيل مجددا الى التبجج بالقـــوة العسكرية باعتبارها حلا لجميع مشاكل الحركة الصهيونيـــة ، ففي خطا ب القاه رئيس الحكومة الاسرائيلية أمام البعثة البريطانية للجباية ، ونقلته معريب بتاريخ ١٩٧٤/١١/٤ جاء قوله: «انا واثق من ان قوة اسرائيل كافية في الوقت الحاضر لان تقرر مستقبلها بدون الاخذ بعين الاعتبار قرارات الرباط وقرارات الامم المتحدة . ان القضية هي ، الى أي مدى نستطيع ان نحضر للحرب بيد وان نواصل بناء الدولة باليد الاخرى ؟ . هناك بيننا من فاجأتهم قرارات الرباط . انني لا أعرف لماذا . فخلال الـ٢٦ سنة الماضية تعلمنا أن نعيش على التهديدات والحروب مع استمرار نمو قوة جيراننا ، وان كل ذلك أصبح جزءا من حياتنا اليومية . ان القدرة على العيش مع هذا والصمود أمامه ضروريان كي نتمكن من مواصلة السير رغم ما يقول جيراننا وكثيرون غيرهم في العالم بأسره » .

اما تحميل الاردن المسؤولية وكأنه أضاع على اسرائيل فرصة السلام بتخليه عن تمثيل الفلسطينيـــين لممثليهـــم الشرعيين ، فما هو الا ذر الرماد في العيون . فليست فرص السلام الضائعة هي التي تزعج اسرائيل وانما احراجها في وقت لم تحدده هي وفي ظروف سياسيـــة واقتصاديـــة وعسكرية غير مريحة لها . « ان صفقة الاسلحة الامريكية التي عقدها رابين مؤخرا في واشنطن لن تستكمل قبل الربيع القادم (١٣) » . ان الذي يشغل بال الاسرائيليين ليس تخلي الملك حسين عن الضفة، أو فرص السلام «الضائعة»، بل استعجال تسلم الاسلحة الامريكية .

(٩) ـــ ان ينسحب الجيش الاسرائيلي على طول نهر الاردن عن مسافة عرضها ٧ كم . (١٠) ـــ أن يعطى حسين مدخلا للضفة الغربية عند اريحا على أن يبقى شاطىء نهر الاردن الغربي بيد القوات الاسرائيلية . (١١) ـــ معريب ، ١٦ ـــ ٨ ـــ ١٩٧٤ . (١٢) ـــ المصدر نفسه . (١٣) معريب ، ١٦ ـــ ٩ ـــ ١٩٧٤ .

❊ أي الاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها ـــ المحرر . ❊❊ لقد تعهد اسحاق رابين في اول خطاب لـــه كرئيس للوزراء في ١٩٧٤/٥/٣ بأنه لا يكون هناك أي انسحاب من الضفة الغربية قبل اللجوء الى استفتاء شعبي ضمن اجراء انتخابات عامة في البلاد .

وقد كتبت جريدة هتسوفيه في ١٩٧٤/١١/٦ أن دبلوماسيين امريكيين في واشنطن افادوا بأن الولايات المتحدة تسرع في ارسال شحنات الاسلحة الى اسرائيل ، وقال الدبلوماسيون ان الاسراع في الاسلحة جاء بعد اللقاء الذي عقده في الاسبوع الماضي سفير اسرائيل في الولايات المتحدة سيمحادينتس مع وزير الدفاع الامريكي جيمس سليزنغر . لقد طالب دينتس بالاسراع في ارسال الاسلحة نظرا لاحتمال وقوع الحرب بعد مؤتمر الرباط .

سياسة جديدة .... ؟

حزب المبام الذي يشارك حزب العمل الاسرائيلي في الوزارة الاسرائيلية بثلاثة وزراء ، قدم مشروع قرار الى الحكومة الاسرائيلية يقضي « بان تعلن اسرائيل استعدادها للتفاوض مع أي جهة فلسطينية تعلن اعترافها مسبقا بدولة اسرائيل (١٤) » . الحكومة رفضت المشروع بأغلبية الاصوات !

ان تغيير ميزان القوى في المنطقة بعد حرب تشرين لغير صالح الاسرائيليين والتعاظم المتزايد للقوى العسكرية والاقتصادية العربية ، دفع بعض الفئات السياسية الاسرائيلية الى التساؤل حول حكمة السياسة التي تتبعها حكومتهم . لكن تلك الاصوات لا تمثل قوى ذات وزن في الكيان الصهيوني .

أما موقف حزب المبام فرغم كونه أكثر « ليونة » من المواقف الصهيونية الاخرى ، الا انه في الواقع متناغم مع السياسة الصهيونية الكلاسيكية . لقد كتب معلق عل همشمار * السياسي نفتالي بتاريخ ١٩٧٤/١١/٣ مقالا حاول فيه ايجاد مخرج للسياسة الاسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية يقول : « ان قرارات مؤتمر الرباط قد خلقت وضعا ما زال غير واضح معه فيما اذا كان هناك من نتحدث معه على مستقبل الضفة الغربية . فبموجب شروط مؤتمر جنيف يجب ان يحظى أي طرف بالدعوة الى المؤتمر (ما عدا منظمة التحرير الفلسطينية)بتأييد جميع المشتركين فيه . لا تستطيع اسرائيل ان تتباحث مع الاردن على مصير الضفة الغربية ، لان الملك اعترف الآن بنفسه ان هذا الموضوع لم يعد من اختصاصه المباشر » .

ويواصل نفتالي حديثه ليجد نفسه مرة أخرى في طريق مسدود : « ان الاساس القانوني لمؤتمر جنيف هو قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وهذا يتحدث عن انسحاب من اراض احتلت في حرب١٩٦٧ الى حدود آمنة ومعترف بها . اذا كانت م . ت . ف . تنوي حقا ان تكون طرفا في المحادثات . فلتجرب أولا ان تغير من صيغة القرار هذا في مجلس الامن . قد تنجح م . ت . ف . بذلك في الجو السياسي الحالي ، الا اذا استعملت الولايات المتحدة حق الفيتو في مجلس الامن » .

ويتابع نفتالي قائلا :« ان مقررات الرباط حسب رأيي لا تحول دون تجديد مؤتمر جنيف . من المحتمل ان تبدأ ابحاث المؤتمر خلال شهرين أو ثلاثة أشهر اذا وجدت هناك تسوية مرضية لقضية التمثيل الاردني الفلسطيني ، وان اسرائيل مطالبة منذ الآن (اذا كانت ترفض تجميدا جديدا وتدهورا يقود الى مواجهة عسكرية) ان تفكر جديا بمستقبل العلاقات الاسرائيلية الفلسطينية » بعد هذه المقدمة يقدم الكاتب حله لمشكلة التوجه للقضية الفلسطينية :« واضح أن الوضع الحالي الذي ترى فيه كل الاوساط العالمية (ما عدا امريكا)والاوساط العربية (ما عدا الاردن) ان منظمة التحرير الفلسطينية هي المرجع لاي محادثات حول مصير الضفة الغربية وقطاع غزة ، يجبر اسرائيل ان تهمل « جبهة الرفض **» تلك وان تبادر الى سياسة ايجابية حول قضية منظمة التحرير الفلسطينية . حسب رأيي ليس هناك حاليا أفضل من ان يعلن تصريح يريف المشهور من جديد ، حيث بواسطته نعيد كيد الفلسطينيين الى نحورهم .

على اسرائيل أن تصرح علنا أن للفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم وان اسرائيل مستعدة للتباحث مع أي طرف فلسطيني معترف به (مثلا منظمة التحرير) بشرط : الاعتراف بحق اقامة دولة اسرائيل » .

من السهل الاستنتاج من مدلول كلام الكاتب هذا الذي يمثل السياسة المبامية ، ان ليس المقصود الاعتراف عمليا « بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني » و « اقامة دولته » كما يدعون ، بل يقصد بها المبام احراج منظمة التحرير الفلسطينية ، معتمدا على ان م . ت . ف . لايمكنها ان تعلن حاليا اعترافها بالكيان الصهيوني على الارض الفلسطينية . ثم نتساءل ، هل بأمكان المبام ودولته ان يتخليا عن « جبهة الرفض » التي يعنيها ؟ هل تستطيع اسرائيل أن تسقط امريكا يوما من حسابها . ان الكاتب المبامي يعلم جيدا استحالة ذلك . والنقطة الثالثة التي يذكرها الكاتب وهي ان على اسرائيل ان تفكر جديا بمستقبل العلاقات الاسرائيلية الفلسطينية (اذا كانت ترفض تجميدا جديدا وتدهورا يقود الى الحرب) . فالكاتب المبامي يعرف جيدا ان تجميد الوضع بالذات وكذلك الابتعاد عن السلام ما أمكن هو جوهر السياسة الصهيونية .

ان المطالبين بالتفاوض مع الفلسطينيين من المعسكر الصهيوني لايقصدون هم أيضا غير المناورة والمحافظة على بعض المظاهر اليسارية التي البسوها لصهيونيتهم . وقد أثبتت التجارب أن الصهيونية تتناقض كليا وبصورة مطلقة من الناحيتين النظرية والتطبيقية مع أية حركة يسارية حقيقية .

استراتيجية مرحلية :

ان ما يقلق اسرائيل هو عدم تاكدها من وصولها الى استكمال الحشد والاستعداد العسكري الذي يمكنها من كسب حرب جديدة .

(١٤) معريب ١٦ — ٩ — ١٩٧٤ . * — جريدة عل همشمار لسان حال حزب المبام . **اي أمريكا والاردن .

كتب وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس مقالا في جريدة هآرتس في ١٩٧٤/٩/٢٥ ،يشرح فيه المرحلة التي تمر فيها اسرائيل في الوقت الحاضر مسميا اياها « مرحلة انتقالية » ، واضعا الاستراتيجية الاسرائيلية لهذه المرحلة. ان وزير الدفاع الاسرائيلي كثيرا ما يقول رأي حكومته بكلمات واضحة وغير مغلفة ، وفي هذا المقال يبين للمواطن الاسرائيلي « ابعاد » هذه المرحلة التي تعيشها اسرائيل والتي تتلخص بالاستعداد للحرب « وكسب » الوقت اللازم لذلك . يقول السيد بيرس : على اسرائيل في هذه الفترة الانتقالية أن تميز بين الاوضاع المتضاربة وان تقوم بثلاثة أمور مختلفة في آن واحد : أن تغذي المفاوضات الجديدة ، وان تتصدى للتهديد العسكري التقليدي ، وان تخطط للخروج من الفترة الانتقالية لا كدولة مقصوصة الجناح ، ولا كشعب متعب الروح بل كدولة صلبة ذات امكانية أكيدة للدفاع عن النفس . من السهل علينا القول « ان نغذي اتجاه المفاوضات » ولكن الاصعب هو تحقيق ذلك ، اذ يتوجب علينا تغذية أمور مختلفة : السلام نفسه ، الوقت اللازم للمحادثات ، ثم مصالح القوى التي تساعد من أجل تحقيق السلام » .وفي مكان آخر يطرح الوزير ما أراد قوله صراحة :« نظرا لغياب احتمالات السلام الحقيقي الشامل في الوقت الحاضر ، يجب بحث الامكانية الثانية ــ كسب الوقت . اذ ان الزمن الخالي من الحرب هو الزمن المناسب لمواصلة المحادثات » . ثم « يجب عدم الاستخفاف بكسب الوقت والمشكلة الحقيقية تتجلى في ثمنه » . « ان آمال السلام تتلاشى في الوقت الذي تظهر به الدول العربية أو بعضها أو حتى واحدة منها ان باستطاعتها ان تهزم اسرائيل عسكريا ، لذلك ، يتوجب على اسرائيل في هذه الفترة الانتقالية بالذات ان تبذل جهودا دفاعية على أعلى المستويات . من الواجب علينا في هذه الفترة اقامة أضخم جيش احتياط عرفناه ، وان نجند للجيش الدائم خيرة الابناء وان نحصن الحدود ، وان نرمم الآليات والسلاح وان نشتري أسلحة جديدة ، وان نوسع انتاجنا الذاتي ، وان نقيم نقاطا جديدة في مناطق الحدود الجديدة للدولة . باختصار علينا اقناع العرب بأن مجدهم لن يتحقق عن طريق الحرب (١٥) .

ان هذا الكلام يعني شيئا واحدا : ان مجد اسرائيل وحدها هو الذي يتحقق عن طريق الحرب . واذا لم تستطع اسرائيل ان تنال هذا المجد ، فاي مجد آخر تستطيع ان تصنع .

(١٥) المصدر نفسه . شمعون بيرس . هآرتس ١٩٧٤/٩/٢٥ .

الحديث عن الاستعدادات العسكريّة الصّهيونيّة

أكثرت الصحف الاسرائيلية في الاسابيع الاخيرة من ايراد التصريحات والتعليقات والانباء المتعلقة بأعداد واستعدادات الجيش الاسرائيلي للحرب . وتريد الصحف الاسرائيلية والمسؤولون عن المؤسسة العسكرية الصهيونية أن يقولوا بأن الالة العسكرية الصهيونية قد أعيدت الى وضع يفضل بكثير الوضع الذي كانت عليه عشية وعقب حرب تشرين . فمشكلة النقص بالطاقة البشرية قد حلت ، وأصبح تحت تصرف الجيش الاسرائيلي اعداد من المجندين تزيد كثيرا عما كان تحت تصرفه في أي وقت مضى ، ومشكلة التسليح قد حلت عن طريق الحصول على أكثر الاسلحة حداثة من ترسانة الولايات المتحدة الامريكية. كما انجهاز الاستخبارات الاسرائيلي ، الذي نسب اليه ما أسمي بالتقصير في حرب تشرين ، قد عاد ليعمل بكامل طاقته .

والقصد من الاكثار من الحديث عن استعدادات الجيش ، هو في الدرجة الاولى رد اعتبار المؤسسةالعسكرية الصهيونية ، واعادة الثقة بالجيش الى المستوطنين الصهاينة ، الذين اهتزت ثقتهم بمؤسستهم العسكرية بعد تشرين، وافهام الولايات المتحدة بأنها تستطيع الآن الاعتماد على آلة حربية مقتدرة .

وبالاضافة الى هذه الاهداف ، استهدفت الصحافة الصهيونية ، من الاكثار من الحديث عن الاستعدادات العسكرية ، وتصعيد التوتر العسكري على جبهة الجولان، في هذه الفترة بالذات قطع الطريق على احتجاجات السكان على الاجراءات الاقتصادية التي نتج عنها تخفيض كبير في مستوى معيشة السكان ومن ناحية أخرى ، فأن هذا الجو العسكري يساعد على تنشيط حملة الجباية المالية في أوروبا وأمريكا ، في وقت تعاني فيه هذه الجباية من عجز كبير زاد على ثلث ميزانية الوكالة اليهودية ، وخاصة بعد الفضائح المالية الاخيرة .

وقد حاولت الصحافة الصهيونية أن تركز الانظار على حجم الجهود التي تبذل في كافة الميادين : تعبئة الحد الاقصى من الطاقة البشرية ، شراء كمياتكبيرة وحديثة منالاسلحة، تحصين خطوط الجبهة ، أعادة تنظيم الاستخبارات ، اعداد الجبهة الداخلية لتلقي الضربات ، ورفع الروح المعنوية .

حشد الطاقات البشرية :

ففي مقابلة صحفية اجرتها مجلة الجيش الاسرائيلي بمحنية مع اللواء مردخاي غور ، رئيس الاركان الاسرائيلي، قال : « نحن اليوم في نهاية عملية تصنيف رجال الاحتياط الذين اعفوا في الماضي منالخدمة العسكرية لاسباب مختلفة ، للتعرف على أولئك الذين يمكن ادخالهم في خدمة الجيش في هذه الفترة ويبلغ عدد هؤلاء عشرات الآلاف من الجنود . وسنرسل بعضهم للوحدات المقاتلة كمحاربين والبعض الاخر سنضعه في القيادات وفي أعمال الاسناد والصيانة (١) » .

وبالاضافة الى اعادة النظر في ملفات الذين أعفوا في السابق من الخدمة ، والذين يزيد عددهم على مئة الف شخص ، تتجه قيادة الجيش الى الاستفادة أكثر من وحدات الناحال . فقد صرح العقيد آشر دور آمر سلاح الناحال بأنه « أمكن مضاعفة عدد وحدات الناحال التي تخدم في وحدات المدرعات والمظلات والمدفعية والهندسة والطب ، كما أن فترة عمليات وتدريبات هذه الوحدات قد ضوعف بعد التغييرات التي طرأت على حياة الناحال في أعقاب حرب تشرين . » (٢) وفي المجال الطلابي صرح البروفسور رابين من الجامعة العبرية في القدس بأن « الجامعة العبرية تستعد لاحتمال نشوب الحرب الجديدة ، حيث تخطط لاستغلال القوى البشرية التي ستبقى لديها في حالة تجنيد طلاب الجامعة للحرب » (٣) كما أعلن رئيس اتحاد الطلبة في الجامعة العبرية ، حنان بن يهودا ، بأنه « في نطاق عملية تشجيع التجنيد والتطوع للجيش الدائم التي تجري اليوم في الاوساط الطلابية ، سيحاول رئيس الاركان مردخاي غور أن يجتمع بالطلبةعلى اختلافهم للرد على اسئلتهم،وسيكرس جهده لايضاح أهمية التطوع للجيش الدائم ، واضاف بأنه حتى نهاية الاسبوع الماضي طلب ٤٥٠ طالبا التطوع لسنة خدمة واحدة، وأن أكثر مننصف هؤلاء هم منالضباط(٤)» .

ولا يقتصر الامر على طلبة الجامعات ، بل تشمل مخططات المؤسسة العسكرية تلاميذ المدارس ، فقد ذكر العقيد يشعياهو تدسور ، آمر قيادة الجدناع (الفتوة)بأن « هناك مئات الطلاب من الصفوف السابعة والثامنة في المدارس ، الموجودين في قرى الحدود ، يتدربون اليوم في قواعد قيادة الجدناع على الامور الفنية الرئيسية في ناحيتي الدفاع والحماية . »

ولزيادة حجم الطاقة البشرية الموضوعة في خدمة المخططات العسكرية ، يجري توسيع مهمات المجندات وزيادة فترة تجنيدهن ، وقد أوردت مجلة الجيش أنه « ستستأنف عملية فحص القدرة الجسدية للمجندات في جيش الدفاع الاسرائيلي عما قريب ... وأن الغاية من هذه العملية هي فحص القدرة الجسدية للمجندات في الجيش ، من أجل تنمية هذه القدرة والامكانية ، ولكي يصبحن قادرات على العمل الجسماني والتدريبات الجسدية .» (٦)

وذكر اربيه تسيموكي في صحيفة يديعوت أحرونوت « بأن الحكومة الاسرائيلية قد اتخذت في جلستها يوم أمس قرارا لتحديد مدة خدمة الفتيات في الجيش من عشرين الى ٢٤ شهرا وأن هذا التمديد سيطبق على المجندات اللائي جندن أعتبارا من شهر حزيران ١٩٧٣ .» (٧)

وتحاول الحركة الصهيونية الاستفادة من القوى البشرية الموجودة خارج اسرائيل ، بالاضافة الى تعبئة أقصى ما يمكن تعبئته من الطاقة البشرية الموجودة داخلها . وتقوم الحكومة بارسال المبعوثين الى الولايات المتحدة وأوروبا لجمع المعلومات عن الاسرائيليين الذين يعيشون في الخارج وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا . فقد ذكر نحوم بارنياع، مراسل دافار، بأن « ضابطا كبيرا في الجيش الاسرائيلي برتبة مقدم يقوم الآن بجمع المعلومات عن الاسرائيليين المقيمين في الولايات المتحدة ، والمحسوبين على قوات الاحتياط الاسرائيلية ... ويريد الجيش في المرحلة الاولى جمع المعلومات عن هؤلاء كي يتم تجنيدهم فيما بعد بسرعة ، ونقلهم الى اسرائيل حسب سلم أفضليات معين عند نشوب الحرب » (٨) .

أعادة القادة السابقين الى الخدمة :

من المعروف أن الجيش الاسرائيلي قد فقد عددا كبيرا من قادته خلال حرب تشرين وفي الاشهر التي تلت تلك الحرب . وقد حل محل هؤلاء القادة قادة جدد ، يفتقرون في نظر الجمهور الاسرائيلي الى التجربة ، وبالتالي لا يوحون بالثقة لجنودهم ولشعبهم . وتجري الان محاولات لاعادة عدد من هؤلاء القادة الى الخدمة الفعلية . فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرنوت أن هناك محاولات لاعادة أريك شارون ، الذي تنسب له عملية الدفرسوار في جبهة قناة السويس خلال حرب تشرين . وقالت هذه الصحيفة : « يظهر بأن الاسباب التي كانت تحول دون رجوع أريك شارون للجيش ستزول ، وأنه سيعود للخدمة العسكرية في الايام القليلة القادمة ، حيث يوضع في الخدمة الفعلية ، أو يعين تعيينا طارئا في حالة نشوب الحرب . » (٩)

واشارت جريدة هآرتس الى احتمال عودة الجنرال اليعيزر ، رئيس الاركان السابق قائلة . « يجري في هذه الايام بحث اقتراح لتعيين الجنرال اليعيزر ، رئيس الاركان السابق ، الموجود الان في الجيش الاحتياطي بمنصب في الجيش ، بصورة استثنائية ، بعد أن ووفق تقريبا على اعادته للخدمة العسكرية ... وعندما يتقرر اجراء تعيينات طارئة للضباط الكبار ، وهم كثيرون ، سيكون هناك أمل في تعيين الجنرال اليعيزر معهم أيضا . » (١٠)

التسليح :

لوحظ مما اوردته الصحف الاسرائيلية ، أن هناكميلا لتضخيم حجم ارساليات السلاح التي تتدفق على اسرائيل من الولايات المتحدة ، مع الاشارة الى سهولة استيعاب الجيش الاسرائيلي للاسلحة التي يتلقاها ، وصعوبة هذا الاستيعاب بالنسبة للجيوش العربية ، بقصد الايحاء بأن اسرائيل تتمتع بميزاتكبيرة في التسليح واستخدام السلاح، بحيث يكون النصر مضمونا فيما لو شنت اسرائيل حربا مفاجئة . فقد ذكر اللواء أرييه ليفي ، رئيس شعبة اللوازم في نهاية استعراض عسكري،«بأن الجيش الاسرائيلييقوم الآن باستيعاب الاسلحة التي لم يبق لها مثيل في تاريخ الجيش ... واستطعنا التغلب على المشاكل المتعلقة باستيعاب الاسلحة بمختلف اصنافها ، والتي لم يسبق ان كان مثلهافيحوزتنا... ان الوسائل الحربية التي يستخدمها جيش الدفاع هي من احدث ما هو موجود في العالم ، الامر الذي يتطلب مستوى فنيالوجستيا (امداديا) عاليا » (١١)

ونقلت مجلة هاتسوفيه عن جريدة كرستيان سيانس مونيتور الامريكية قولها : « ان كبار المسؤولين في البنتاغون قلقون من جراء الضغط الاسرائيلي الشديد للحصول على شحنات سريعة من الاسلحة الامريكية ، وبكمياتضخمة ، من بينها صواريخ موجهة بأشعة لازر ، لم يوزع مثلها على القوات الامريكية ... وتكفي الشحنات الامريكية لاسرائيل لتعويض ما خسرته في حرب تشرين بل ووضعها في مركز متفوق على السوريين والمصريين ، غير أن سرعة تسليم الاسلحة لاسرائيل تخلق تضخما في كميات الاسلحة المتوفرة في اسرائيل ، الامر الذي يثير دهشة الاستخبارات الامريكية وتساؤلها عما تريد اسرائيل أن تفعله بهذه الاسلحة . » (١٢)

وقد نقلت صحيفة هآرتس عن ناطق بلسان وزارة الدفاع الامريكية قوله بأن « هناك نقصا فيالدبابات الموجودة تحت تصرف الجيش الامريكي ، ورغم ذلك فان الولايات المتحدة سترسل كمية من الدبابات الى اسرائيل . » (١٣)

ولزيادة طمأنة الصهاينة ، تنشر الصحف الاسرائيلية انباء عن استعداد الولايات المتحدة لمد جسر جوى آخر في حال قيام حرب واستطالتها . فقد ذكرت معريب بأن « الولايات المتحدة أعدت خطة طوارىء لارسال الاسلحة لاسرائيل عن طريق جسر جوى ، فيما اذا نشبت الحرب وحاولت روسيا ارسال الاسلحة والمعدات للعرب .»(١٤)

ونسبت الصحيفة في نفس مقالها الى مصادر ديبلوماسيةفي واشنطن قولها بأن معظم الخبراء في وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين مقتنعون الآن ، بانه في اعقاب مؤتمر

الرباط ليس من المحتمل فقط قيام جولة أخرى ، بل أن هذه الجولة قريبة بالتأكيد .

ونشرت الصحف الاسرائيلية ما ذكرته مجلة الطيران الامريكية ، (أفيشن ويك) عن انواع الطائرات والصواريخ التي سلمت او ستسلم لاسرائيل قريبا ، فذكرت ان هذه الاسلحة تضم : طائرة ف١٥ ، صاروخ رد آي (العين الحمراء) ، صاروخ « آرم » ، صاروخ لانس صاروخ دراجون ، صاروخ طاو . (١٥)

وتحرص الصحف الاسرائيلية على نقل تقديرات وسائل الاعلام الامريكية لميزان القوى في منطقة الشرق الاوسط ، وخاصة تلك التقديرات التي ترجح كفة اسرائيل في الحرب القادمة ، فقد نقلت صحيفة يديعوت احرونوت تقييم محلل عسكري امريكي نسب الى المخابرات الامريكية تقديرها بأن « بأمكان اسرائيل اليوم ابادة صواريخ سكاد الروسية الموجودة لدى العرب . وبأن هناك نقصا خطيرا لدى اسرائيل في السيارات المدرعة من طراز نجماش ، وان اسرائيل تطالب بسرعة ارسال الاسلحة من الولايات المتحدة . » أما لماذا هذه العجلة، فلان « السوريين يفضلون الحرب في فصل الشتاء عندما تحد الغيوم من نشاط سلاح الجو الاسرائيلي » (١٦)

ان الاستنتاج الذي تحاول أن توحي به ، وسائل الاعلام الصهيونية هو أن الجيش الاسرائيلي ، قد أعيد تسليحه وانه استوعب جميع الاسلحة التي ارسلت اليه ، وانه لم يبق غير استلام الامر للبدء في الحرب .

استعدادات الدفاع المدني :

قامت السلطات الاسرائيلية في الاسابيع الماضية ، بأجراء تجارب للدفاع المدني والاستيعاب ، اشتملت على تجربة اخلاء مصابين وضحايا ، في حالة ضرب مدينة تل ابيب بالصواريخ العربية ، وبعد هذه المناورة صرح المقدم ميخائيل شندلر ، في مؤتمر صحفي ، بأن الغرض من هذه المناورة هو أنه « من اجل اعداد المؤخرة لحالة طوارىء ، تؤخذ في الحسبان الامور الخطيرة جدا التي قد تحدث . لقد اعدت مراكز في جميع انحاء البلاد لاستيعاب أولئك الذين لا مأوى لهم ، كما اعدت برامج لنقل الضحايا والجرحى ، وهناك ثلاثون الف متطوع يمكن تجنيدهم عند الحاجة وفق قانون الدفاع المدني ، وهم دائما تحت تصرف اللجنة ، ومعظم هؤلاء اعضاء منظمات ، والباقي متطوعون . وقد جرت حتى الآن مناورات مماثلة في اربعين مركز سكن في البلاد ، وان مناورة تل أبيب هي المناورة الحادية والاربعون منها » (١٧)

ان القادة الصهيونيين يبررون اجراءاتهم العسكرية وتصعيد التوتر العسكري في المنطقة ، بقولهم ان العرب وسورية على وجه الخصوص ، ينوون الدخول في الحرب ، ويمتنعون عن السير في طريق تؤدي الى السلام . وقد ترافقت الاجراءات العسكرية الاخيرة مع قرب انتهاء فترة تمديد خدمةقوات الطوارىء الدولية ، ولكن لا يجوز لنا أن نتصور أن هذا هو السبب في كل تلك الاجراءات ، فلو لم تكن هذه المناسبة لكان هناك غيرها .

ان الكيان الصهيوني يجتاز مرحلة صعبة للغاية . ولا تنتج الصعوبة عن الجانب العسكري ، بل انها تشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فالحصار الذي تعانيه اسرائيل في هذه المرحلة ليس حصارا خارجيا بقدر ما هو حصار داخلي . وقد كتب يوسف لبيد معلق جريدة معريب قائلا : « ... ربما تكون هذه الحرب هي الحل الوحيد لاوضاعنا الحالية ، وربما لا طريق اخرى امامنا لفك الطوق الخانق الذي يضيق على عنقنا . » (١٨)

ان الاوضاع الحالية التي يشير لها معلق جريدة معريب ليست أوضاعا عسكرية فقط ، بل هي أوضاع تشمل كافة جوانب حياة الكيان الصهيوني . غير أن قرار شن الحرب يتطلب اكثر من قرار اسرائيلي لفك الطوق عن عنقها .

المراجع

(١) ـ بمحنيه ١٩٧٤/٩/٢٤ .

(٢) ـ بمحنيه ١٩٧٤/١١/٦ .

(٣) ـ بمحنيه ١٩٧٤/١١/٦ .

(٤) ـ بمحنيه ١٩٧٤/١١/٦ .

(٥) ـ بمحنيه ١٩٧٤/١١/٦ .

(٦) ـ بمحنيه ١٩٧٤/١١/٦ .

(٧) ـ يديعوت احرونوت ١٩٧٤/١١/١١ .

(٨) ـ دافار ١٩٧٤/١١/١٣ .

(٩) ـ يديعوت احرونوت ١٩٧٤/١١/١٤ .

(١٠) ـ هآرتس ١٩٧٤/١١/١٥ .

(١١) ـ دافار ١٩٧٤/١١/٨ .

(١٢) ـ هاتسوفية ١٩٧٤/١٠/١٧ .

(١٣) ـ هآرتس ١٩٧٤/١١/١٤ .

(١٤) ـ معريب ١٩٧٤/١١/١٨ .

(١٥) ـ يديعوت احرونوت ١٩٧٤/١١/١٥ .

(١٦) ـ يديعوت احرونوت ١٩٧٤/١١/١٨ .

(١٧) ـ معريب ١٩٧٤/١١/٢٤ .

(١٨) ـ معريب ١٩٧٤/١٠/٢٠ .

الملحق

معريب
١٩٧٤/١١/١٥

تحصينات أم ملاجئ

متتيا هو بيلد

ان اصوات الهتافات والارتياح التي سمعناها في الاسبوع الاخير لان عملية التحصينات الضخمة في هضبة الجولان قد استكملت خلال ثلاثة أشهر ، وكلفت مبالغ طائلة تصل الى مئات الملايين من الليرات، لا يمكن الا أن تذكرنا باصوات مماثلة أطلقت في الفترة نفسها تقريبا من العام قبل ثلاثة أعوام .

لقد أطلقت هذه الاصوات آنذاك مع انتهاء ترميم خط بارليف ، الذي تحطم في حرب الاستنزاف ، وهي العملية التي بدأت فور دخول وقف اطلاق النار حيز التنفيذ في بداية آب من عام ١٩٧١ . كان الافتراض وقتئذ هو أنه خلال ثلاثة أشهر قد تتجدد الحرب، ولهذا السبب كان من الضروري الاسراع في ترميم خط الدفاع المحطم خلال تلك الاشهر الثلاثة ، بتكاليف باهظة وصلت ، حسب بيانات موثوق بها ، الى مئات الملايين من الليرات .

واليوم نحن نعلم أن هذه المرحلة من اعادة بناء خط بارليف كانت مرتبطة بتكاليف تزيد على مليار ليرة ، ويمكن الافتراض بأن التحصينات في هضبة الجولان التي استكملت للتو قد كلفت ميزانية الدولة مبلغا مماثلا، ولكن ليس المبلغ فقط هو المماثل : فالمفهوم كله يشبه ذلك الذي نذكره من أيام خط بارليف ، وحسبما تقول الصحافة ، فن البناء أيضا مماثل لدرجة تثير الدهشة . نفس صناديق الباطون المصبوبة المغروسة داخل الارض وفوقها تبنى طبقات التفجير، وفي داخلها أجهزة تقوية من مختلف الاصناف. تلك القلاع التي تذكر بـ فيتوم ورعمسيس ، التي ظهرت في الماضي على طول قناة السويس، تزين الآن مجالي هضبة الجولان ، وحولها تلك الشبكة من الطرقات التي تستطيع الاليات أن تصل عبرها سرا الى المواقع ، وشبكات من الحواجز التي لم تساعد بشيء في الماضي في أية مرحلة من مراحل المعركة .

ليس من الغريب أن يتساءل مراسل عسكري مجرب كزئيف شيف (هآرتس ١٩٧٤/١٠/٣٠) : هل هناك من قيمة لهذه الشبكات من التحصينات . ان الخوف هنا لا يقتصر فقط على أنه يوجد هنا تبذير أموال بكميات ضخمة، بل ان هذا التشبث بمفهوم الاستراتيجية الدفاعية من شأنه أن يشل تفكير القادة ويشده الى مفاهيم دفاعية أكل الدهر عليها وشرب . هذه الخشية لا تنبع من حقيقة أنهم يكثرون الآن من الاشتغال بقضية الدفاع في حين أن الجيش الاسرائيلي لم يكن يشتغل بهذه القضية في الماضي ، لانهم في الماضي أيضا كانوا يشتغلون فيها بجدية مطلقة وبصورة جذرية . ان الخطر لا يكمن في ذلك ، اذ لا يجوز تجاهل موضوع الدفاع في التأهيل العسكري . **وانما في الماضي ، قبل أن تسيطر عقلية الاستراتيجية الدفاعية على فكرنا العسكري ، كان الاشتغال بالدفاع مقصورا على اطار النظر اليه على أنه أحد أشكال الحرب ، في حين أنه منذ خط بارليف وحتى الآن أصبح الاشتغال بالدفاع نوعا من العبارة التي يراد بها انقاذ اسرائيل .**

ومن افترض أنه بعد تجربة حرب يوم الغفران سيأتي صحو اقتصادي ، وأن النظر الى الدفاع سيصبح من جديد عقلانيا ، على اعتبار أنه شكل من اشكال الحرب تجب معرفته ولكن مع ذلك يجب الحرص بشدة على عدم الانسياق اليه، من افترض ذلك يحق له أن يشك بصدق هذه الفرضية.

وكما أنه لا شك أن انشاء خط بارليف لم يكن بالاساس من خلال اعتبارات رزينة لمخطط عسكري ، وانما من خلال مطالب لا أساس لها لحالم سياسي ، كذلك **يخشى أن تكون عملية التحصينات الضخمة التي جرت في هضبة الجولان مصدرها هي الاخرى يعود الى مفهوم سياسي معين أكثر مما يعود الى فكر عسكري متزن .**

لسبب ما هناك من يعتقد أن تجربة خط الدفاع في الجولان كانت تختلف عن تجربة خط الدفاع على طول القناة ، من الصعب تحديد مصدر هذه الفرضية ، ولكنها عارية عن الصحة . ربما يوجد هناك من يعتقد أن خط الدفاع الذي لم ينجح في وقف العدو ما زال يقوم بمهمته اذ كان هناك عدد من مواقعه نجحت في الصمود لكونها منعزلة في منطقة سقطت كلها في أيدي العدو . ولكن هذا في الحقيقة مفهوم رومنتيكي جدا لمهمة خط الدفاع . وان كل من رأى القوات السورية وهي تغسل الهضبة وتصل الى اطرافها الغربية لا يستطيع أن يقول بجدية بأن خط الدفاع في الهضبة حقق غايته . **والفرق بينه وبين خط بارليف هو أننا سمعنا القليل عن سقوط مواقعه ، ولكنه كخط بارليف تماما أخفق في المهمة التي أنشىء من أجلها : اذ لم يمنع خرق العدو .**

ان الدرس الواضح من المعارك على الجبهتين هو أن العدو لا يمكن أن توقفه غير القوات الميدانية المقاتلة ، وهذه القوات تعمل بصورة اجدى حينما لا تكون مقيدة في حركتها واعتباراتها بوجود مواقع أو مستوطنات محاصرة . « الصحراء جنة التكتيكي » ، هكذا كان يقول القادة الذين قاتلوا في الصحراء الغربية خلال الحرب العالمية الثانية . ان في هذا القول أكثر بكثير مما يفهم منه للوهلة الاولى . اذ ليس المقصود الصحراء بالمفهوم الجغرافي ، وانما الارض التي تعمل فيها الوحدات بحرية دون أي اعتبارات مقيدة .

خطوط التحصينات والمستوطنات تشكل عقبة لاميزة لقوات قامت واعدت لحرب متحركة ولمعارك حسم .

ولكن ، كما قلنا ، لايدل هوس التحصينات كله على فكر المخطط العسكري ، وانما على هذيان السياسي ، الذي يحاول كسب الثقة بأوهامه بمساعدة الباطون وأقنية خط التحصينات . وخير مثال على هذا الاضطراب للمفاهيم ، وهذا الفكر المشوش ، يمكننا ان نراه في الاقوال التي أطلقها وزير الدفاع خلال اجتماع مع بعض كبار القادة في الجيش الاسرائيلي (« معريب » ١ تشرين الثاني) . ففي معرض حديثه عن قضية المحافظة على علاقات القوى . بنسبة واحد الى ثلاثة كحد أدنى ضروري لاسرائيل ، تناول بالبحث أيضا مسالة التحصينات ، فقال : « في مجال التحصينات سنضطر لانشاء مزيد من المستوطنات ... ان اسرائيل تسعى الى اقامة مستوطنات جديدة على حدود البلاد وفي النقاط الحساسة فيها . علينا أن نعمق شبكة التحصينات ونوعها ، نحسن شبكة الطرقات والانابيب والكابلات في الدولة » .

هاهو ذا « تصور » التحصينات ، تماما كتصور آخر في حينه ، يفرض نفسه على كل اعتبار عسكري رزين ، ويضطره لمراجعة جميع أنواع الاسس التي لايرتبط بعضها ببعض ، فقط من أجل أن يتحقق الحلم السياسي . في الماضي ، وفي العصور التي كان فيها ايمان الاستراتيجيين بالدفاع كأقوى شكل من أشكال القتال مألوفا (أعني العصور الوسطى والقرنين السادس عشر والسابع عشر) حاول على الاقل اولئك الاستراتيجيون أن يكونوا استنتاجيين ، وحرصوا على أن تكون المناطق المخصصة لشبكات الدفاع خالية من السكان المدنيين الذين يعرقلون فقط عمل القوات . ولكننا نواجه اليوم فكرا أقل ثباتا بكثير ، ذلك أننا نريد أن نعتبر المستوطنات المدنية بالذات ، بمزارعها ومعاملها . عناصر في شبكة التحصينات . هذه هي النتيجة المستفادة عندما يحل استخدام اصطلاح « التحصينات » مجازا محل اصطلاح التحصينات بمدلوله الفني ، المهني .

يبدو احيانا انه لم يعد من الممكن ابدا العودة الى ذلك التفكير الرزين الذي خدمنا بشكل جيد في الماضي في جميع اعتباراتنا العسكرية . وعندما تتذكر ان خط الحدود الشرقية لدولة اسرائيل قبل حرب الايام الستة ، ذلك الخط الذي يعتبر اليوم مضحكا من ناحية عسكرية ، كان خاليا من أية تحصينات طيلة عشرين عاما ، دون أن يشعر أحد بفقد الامن بسبب ذلك ، عندما تتذكر ذلك لا بد لك ان تندهش للتغيير العميق الذي حدث عندنا . ومن يريد أن يتأكد من صحة هذه الاقوال فليذهب ويفحص خط الحدود كله من شعلبيم عند مدخل اللطرون وحتى « مي ـ عمي » في شمال المثلث . لابد للانسان أن يندهش لتلك القيادة العامة للجيش الاسرائيلي التي لم تصدق أنه يجب انفاق ولو أغورة واحدة على التحصينات على طول هذا الخط المفتوح ، الذي يتاخم أكثر مناطق الدولة كثافة بالسكان وليس له أي عمق استراتيجي . هل حقا خبت آنذاك أنوار فكرنا العسكري . التي لم تشرق من جديد الا بعد حرب الايام الستة عندما اكتشفنا فجأة فن «التحصينات» أم أن تلك النظرة الواقعية ، التي تعرف تمييز الحدود التي تفصل بين شأن وآخر ، هي التي منحت اسرائيل حدا أقصى من الامن دون أن تبذر موارد الامة على شبكات تحصينات ليست سوى ذريعة لشؤون لاتمس متطلبات الامن الفورية من قريب أو بعيد ؟

والآن ، بعد أن أنفقت الاموال ، واستكملت العملية « قبل حلول الشتاء » ، تواجه الجيش الاسرائيلي المهمة الصعبة الخاصة بمنع فكر القادة من « التخندق » داخل خطوط التحصينات وفق قدرته على مجابهة المشكلات القتالية لميدان القتال المعاصر .

يخيل لي أن القائد يجب أن يقول لمرؤوسيه حالما يصلون الى منطقة محصنة : هل ترون خطوط التحصينات هذه ؟ تجاهلوها . يجب علينا أن نفكر بسبل القتال ضد العدو لا ان نضيع في هذه الغابة من المواقع والخنادق التي لاتشكل سوى عراقيل زائدة في وجه قواتنا المدربة . وبالنسبة للمستوطنات التي أقيمت هنا ، النباتات والمزرعات ستدمر طبعا خلال المعارك ، والرجال ، اذا لم يعبأوا لوحدة أخرى ، فسيلتحقون بقواتنا . نأمل أنهم سيخرجون من المنعات ويؤدون دورا أكثر فاعلية في القتال .

هكذا يجب أن تكون تقريبا صيغة كلام القائد الذي سيوجه مرؤوسيه استعدادا للقتال في منطقة التحصينات . والبديل سيكون في الحقيقة ترك القوات تغوص داخل الخطوط ، التي تمتاز كما هو معروف بقدرة لاحدود لها على ابتلاع القوات ، وتكون دائما في نهاية الامر ضعيفة في النقطة التي يقرر العدو الهجوم فيها .

ولكن ازاء هذه التفكيرات كلها بشأن الاقوال التي دفنت مع الباطون الذي صب حيث لا فائدة ترجى منه . يمكن التفكير باستخدام آخر كان يمكن القيام به لهذه الموارد . كثر الحديث في الآونة الاخيرة عن « الملجأ » داخل التجمعات السكانية . والمقصود هو بناء ملاجىء للوقاية من القصف الجوي ومن الصواريخ البلاستيكية البعيدة المدى . هذا النوع من السلاح ، الموجود في منطقتنا منذ مدة ، لم يأت بصورة مفاجئة . فمنذ انتهاء حرب الايام الستة كان يمكن توقع ظهوره في المنطقة ، بل واستخدامه في حال نشوب حرب . والمعروف أنه لم تتوفر حتى الآن لاسلحة طيران العدو امكانية الوصول الى المؤخرة وضرب تجمعاتنا السكانية . ولكنه كان دائما من الواضح أن الجيوش العربية ستلجأ ، حالما تستطيع ، الى الصواريخ ، التي لاسبيل حتى الآن لوقفها في الجو ، كوسيلة للقصف في العمق . وان حقيقة أن سلاحنا الجوي يسارع الى تنفيذ عمليات قصف في عمق أراضي العدو ، كان لابدلها أن تحفزهم للبحث عن وسائل تمكنهم من القيام بعمل مماثل .

ان الوسائل المضادة لاستخدام صواريخ بهذا الشكل ليست بسيطة ، ولا يمكن في الوقت الحاضر عمل الكثير من أجل منع وصولها الى أهدافها . لذلك من الواضح أن انشاء ملاجىء كبيرة داخل التجمعات السكانية أصبح ضرورة من ضرورات الساعة ، بعد حرب الايام الستة مباشرة . وان كل تلك المليارات التي أنفقت على خطوط التحصينات ، كان من الممكن انفاقها على بناء الملاجىء . وهذا انفاق أكثر غائية ، وهو يحتاج الى الوسائل نفسها اللازمة لانشاء التحصينات . ولم تنقص أيضا مقترحات في هذا الصدد ، الذي يتطلب تخطيطا وتنظيما فريدين من نوعهما ، ذلك ان مشروع انشاء ملاجىء على نطاق واسع لا يمكن تنفيذه بطرق عادية . الا أن أفضلية واضحة أعطيت آنذاك لانشاء خطوط تحصينات على الجبهة ، وهذه الخطوط سقطت في المعارك ، فضاعت الاموال وبقيت المؤخرة بدون ملاجىء . هكذا انتهى ذلك الفصل .

وبعد حرب يوم الغفران ، أصبح خطر الصواريخ أكثر واقعية ، وظهر انعدام جدوى خطوط التحصينات بشكل مقنع جدا . لذلك ربما كان هناك مجال للامل بأن توجه الوسائل من الآن فصاعدا لانشاء ملاجىء لا لاقامة خطوط تحصينات . ولكن يا للعجب ، نعود من جديد الى اقامة خطوط التحصينات بدلا من الملاجىء ، والمسؤولية عن ذلك لا تقع فقط على عاتق من فضل الانفاق على انشاء خطوط التحصينات ، بل أيضا على من لم يتنبه لاقامة جهاز تنظيمي وقيادي يستطيع أن يتحمل هذه المهمة . ان ضابط الدفاع المدني الاول يستطيع ان يقول كلاما ذا معنى لاحد له في هذا الموضوع ، الا أنه ليس لاقواله أي صدى . وموضوع انشاء الملاجىء أيضا لايحل بمخصصات قليلة ، كما يجري الآن . واذا كانوا قد أنفقوا على خطوط الدفاع منذ حرب يوم الغفران نحو مليارين من الليرات ، فانهم لم يخصصوا على الارجح للملاجىء عشر هذا المبلغ .

ان الامر يثير تساؤلا حول طرق التفكير وتحديد الافضليات . فتبذير أموال على خطوط تحصينات بدون تفكير ، بدون التنبه لاوضاع سياسية من شأنها أن تحملنا على تركها حتى دون قتال ، كما في حال انسحاب متفق عليه في سيناء ، وعدم تخصيص تلك الاموال المتوفرة لدى الحكومة لموضوع حيوي كالملاجىء ـ هو تصرف ليس له أي تفسير .

هآرتس ١٩٧٤/١١/١

نحو احتمال حدوث جولة جديدة
ماذا سيكون السّبب المباشر للحرب؟

بقلم : زئيف شيف

ان السؤال الذي يقلق الآن كل اسرائيلي هو هل ستنشب فعلا حرب جديدة في المستقبل غير البعيد ، لن أخاطر بالتنبؤ ، ولكن يخيل لي انه سيكون من الصواب القول بأن سورية ، ومن المحتمل جدا مصر أيضا ، ستكونان مستعدتين للجوء الى عمليات عدائية اذا كانتا مقتنعتين بأن ذلك سيحقق لهما مكاسب ولن يعرض للخطر مكاسب سابقة . لقد صدق وزير الدفاع شمعون بيرس حين قال بأنه لو كان العرب يقدرون بأنهم يستطيعون الانتصار على اسرائيل لكانوا يهاجمونها حتى لو كنا نوافق على اعادة جميع الاراضي المحتلة لهم .

ان الوضع في المعسكر العربي في الوقت الحاضر هو أن الفلسطينيين يريدون في غالبيتهم حربا أخرى ، بهذا الموعد أو ذاك . وتزعم سورية انه لا مناص من الحرب (يوجد في اسرائيل شعور مماثل تقريبا تجاه سورية) . مصر مهتمة بتجنب الحرب الآن . وتأمل ان تحصل على سيناء دون أن تضطر لدفع ثمن حقيقي . انها تريد أن تضعف اسرائيل بدون حرب وان تترك لنفسها خيارات مفتوحة لامكانية حرب في المستقبل البعيد . حسين لا يريد حربا ، ولكن يبدو انه اذا نشأ جو حرب تحقق له ، حسب تقديره ، مكاسب ولو كانت نوعا من فصل القوات عن طريق انسحاب الجيش الاسرائيلي من غور الاردن ، فقد ينضم اليها هذه المرة .

ان منع الحرب يمكن تحقيقه الآن بوساطة اتفاقية سلام أو اتفاقية شاملة ، الامر الذي يبدو في الوقت الحاضر خلف جبال من الظلام . ما بقي ، اذن ، هو اتفاق جزئي مع مصر (أي تنازل اسرائيلي آخر عن أرض في سيناء) . هذا الامر لن يزيل الخطر بصورة نهائية ، ولكنه سيؤجله مدة غير معروفة . سورية ستفكر ألف مرة قبل أن تخاطر وحدها بالحرب حتى لو نجحت في اقناع الاردن (والعراق) بالانضمام اليها ، وحتى لو كانت مقتنعة بأنها ستجر مصر في المرحلة الثانية من المعارك .

هل أصبح العرب واسرائيل مستعدين لحرب جديدة ؟ يخيل لي أن جيوش المنطقة التي اشتركت في حرب يوم الغفران ، ليست مستعدة حتى الآن لحرب شاملة مبدوءة من قبلها . والجيوش العربية أقل استعدادا لذلك من الجيش الاسرائيلي الذي حقق انجازات جيدة في مجال اعادة البناء والاستعدادات . ومع ذلك علينا ان نأخذ بعين الاعتبار امكانية ان يكون العرب يعتقدون غير ذلك ، وان تقديرهم مختلف وان كانوا حتى من ناحية طبيعية لم يتوصلوا الى الوضع الذي كانوا عليه قبل حرب يوم الغفران . ليس من المستبعد ان يكون بينهم من يعتقد بأنهم برغم كل شيء يتمتعون بتفوق يتيح لهم خوض غمار الحرب . قد تكون صواريخ الارض ـ أرض من نوع سكاد تلهب خيالهم وتبعث بهم الثقة بأن هذا السلاح يمنح العرب تفوقا استراتيجيا وانه ليس لدى اسرائيل جواب على هذا التحدي .

هل العرب مستعدون ؟

ان سورية هي في أفضل وضع بالنسبة لاستيعاب الاسلحة الحديثة . وذلك لانها تتلقى من الروس كميات ضخمة من الاسلحة الجديدة ، وهي لا تواجه مشكلات معقدة بشأن التحويل وترميم الادوات التي كانت لديها في الحرب السابقة (كما هي الحال في اسرائيل) . وفي المقابل ، وضعها في تدريب أطقم جديدة أقل جودة ، ومن الصعب الافتراض بأن مخططات الحرب أصبحت جاهزة كما كانت في حرب يوم الغفران .

ولست افترض ان السوريون سيشنون حربا شاملة قبل ان يضمنوا مقدما ان تمنحهم خطتهم نجاحات . واذا كانت الخطط جاهزة فمن الصعب الافتراض بأن القوات قد دربت عليها كما يجب . وان ما أكثر السوريون من القيام به هو التحصينات الكثيرة في منطقة الخرق سابقا وفي قطاعات أخرى . انهم يفعلون هناك ما يفعله الجيش الاسرائيلي تقريبا في هضبة الجولان . وفي المقابل تكثر قواتهم ، على مختلف المستويات ، من التدريب .

أما وضع مصر فهو أقل جودة من حيث استيعاب السلاح ، ولكن لا ينبغي ان يفهم من ذلك انها تفتقر للادوات . انها ستحصل بالتأكيد قريبا على أسلحة كثيرة من الاتحاد السوفياتي وهي تعمل في هذه الاثناء على استكمال المشتريات الشرقية بمشتريات غربية . وتكثر قواتها من التدريب وفي المؤخرة يجري ترميم الوحدات التي كانت اصابتها شديدة خلال الحرب . وفي منطقة القناة ، في أراضي سيناء . أنهى المصريون انشاء تشكيل دفاعي تستطيع قواتهم احتلاله في الحال . لقد أقاموا هناك نحو ١٠٠ موقع محمية بشكل محيطي والعديد منها موصول بشبكة خطوط . كما أقاموا حواجز م/د واستحكامات دبابات ومواقع مدفعية . وفي المواقع نفسها جهزوا مستودعات من الذخيرة ومياه الشرب .

هل فعل الجيش الاسرائيلي ما فية الكفاية لاحتمال اندلاع الحرب ؟ في هذه السلسلة من المقالات حاولنا اعطاء جواب على هذا السؤال وتصوير ما يجري في عدة مجالات هامة . ولا يجوز أبدا القول بأنه تم عمل كل شيء . الشيء الواضح هو انه تم عمل الكثير وان العمل في الجيش الاسرائيلي جار على قدم وساق ، ولكن ما زال هناك الكثير مما يجب عمله ، بدءا بشؤون تنظيمية وباستلام أسلحة ومعدات اضافية ، وبتحويل الادوات وتطويرها ، وباستغلال جميع القوات والقادة ، وانتهاء بتحسين الانضباط والحد من البيروقراطية . واذا كان هناك ما يقلق ، فهو في مجال الاستغلال الفوري لقادة مجربين . اذا كان هناك فعلا خطر اندلاع حرب فيجب العمل في هذا الشأن أيضا بسرعة أكبر . وليس ذلك من الامور التي يمكن تقريرها قبل الحرب بيوم واحد .

ثمة سؤال آخر وهو أي شكل ستحمل العمليات العدائية في حال قيام العرب بشن حرب . في هذا الصدد يجب التذكير بأن اسرائيل ارتكبت خطأ فادحا قبل حرب يوم الغفران حين تخيلت امكانات العمل العربية . كان مفهومنا آنذاك قائما على الافتراض بأن العرب ليسوا مستعدين حتى الآن لحرب شاملة ، ولذلك فسيجربون قوتهم في عملية جزئية بغية ازالة الجمود السياسي . لهذا السبب هددت اسرائيل برد أقصى ، بحرب شاملة . وقد استنتج العرب من ذلك انهم اذا كانوا يخاطرون بحرب شاملة من جانب اسرائيل ، فمن الافضل لهم ان يبدؤوا في الحال بعملية شاملة . وفعلا . كان مفهومهم الاستراتيجي رفيعا . فقد عملوا على جميع الجبهات وان لم يفتحوا نارا حقيقية على كل جبهة (الحصار البحري ، وحظر النفط) . لهذا السبب يجب ان يكون افتراضنا منذ البداية (والى جانب ذلك المخططات العسكرية) انه اذا فتح العرب النار فستكون تلك حربا شاملة . وذلك حتى اذا كنا مقتنعين بأن العرب يعلمون انهم ما زالوا غير مستعدين لحرب كهذه . ويجب ان نتذكر انه حتى المكسب الطفيف في الارض هو في نظر العرب انتصار كبير ، وان أي اخفاق بسيط نسبيا في الارض هو في نظر اسرائيل ، وخاصة بعد حرب يوم الغفران ، هزيمة لا يمكن تقدير أثرها المستمر مقدما .

ان الاستعدادات يجب ان تكون لحرب شاملة ، والى جانب ذلك يجب على اسرائيل ان تحدد لنفسها ماذا سيكون في نظرها « السبب المباشر » حتى اذا كانت العمليات العدائية محدودة ، ظاهريا . بكلمات أخرى ، ما هي العمليات العدائية العربية التي سيكون من واجب اسرائيل ان ترد عليها ردا شاملا . مثلا ، هل سيلزمنا طلب سورية من قوة الطوارىء الدولية اخلاء المنطقة ، باحتلال المنطقة التي كانت ترابط فيها قوة الامم المتحدة ، وربما بالرد بحرب شاملة اذا دخلها السوريون ؟ ! هل احتلال قمة جبل الشيخ من قبل السوريين (من ناحية قانونية يعتقد السوريون انه يحق لهم ان يطلبوا من الامم المتحدة أن تحرك مواقعها) سيلزم اسرائيل بعملية محلية ، أم سيكون عليها ان ترد بعملية شاملة ؟

هناك اسئلة مماثلة يمكن توجيهها بشأن سيناء أيضا . كيف نرد ، مثلا ، اذا أدخل المصريون قوات الى القطاع المحاذي للقناة دون ان يطلبوا من قوات الامم المتحدة مغادرته ؟ هل نكتفي فقط باحتلال قطاعنا ذي العدد المخفض من القوات ، أم نرد بعملية شاملة ؟ !

خطر في خليج السويس

ان الامكانات مختلفة وكثيرة ، ولكن الشيء الواضح هو انه في كل امكانية لا ينبغي بأي شكل من الاشكال ان يحدث لاسرائيل ما حدث لها عشية حرب يوم الغفران . ليس فقط بالنسبة للمفاجأة . بل لا يجوز ان يحدث الا نعبيء معظم قوات الاحتياط الا عندما يهاجم العرب ، أو أثناء قيامهم بانتهاك كبير لاتفاقيات الفصل يجب ان تكون نقطة الانطلاق ، كما قلنا ، هي ان العرب سيسعون الى عملية شاملة ، ولكن هناك سيناريوهات يستطيعون فيها ان يستخدموا جزئيا ، في المرحلة الاولى ، قواتهم البرية . مثلا ، في حال الجمود السياسي ، **أو أثناء** المفاوضات في جنيف أو في مكان آخر ، امكانية للضغط على الجبهة . يمكن ان يشن السوريون من جديد حرب استنزاف . فهم مقتنعون بأن الامر ساعدهم قبل اتفاقية الفصل . وقد يكون الشتاء موعدا جيدا لذلك لان الوحل في هضبة الجولان يثقل على الطرف الذي يريد الرد بهجوم معاكس شامل . وبشكل عام ، ماذا سيكون رد اسرائيل على حرب استنزاف في الشتاء أو في الصيف ، هل ترد فقط بحرب استنزاف مضادة **كما فعلت في الماضي ؟**

المصريون ، مثلا ، قادرون على ممارسة ضغط بأسلوب آخر . ينقلون قوات كثيرة الى سيناء دون ان يطردوا قوة الامم المتحدة . وهم يستطيعون ، بالاضافة الى ذلك ، ان يفرضوا حصارا بحريا على الملاحةالاسرائيلية في باب المندب . وفي مرحلة ثانية يستطيعون استئناف حرب الاستنزاف . فماذا سيكون رد اسرائيل على أسلوب عمل كهذا ؟ من الخطأ التفكير بأن اتفاقيات الفصل تمنحنا وقتا كافيا للانذار الاستخباراتي . فقد كانت الصحافة حافلة بالتفسيرات الرسمية **للقول بأن العرب سيضطرون** لتنفيذ هجوم متدرج اذا ما أرادوا شن حرب . سيكون من الخطر ان نعتمد على ذلك . **فالسوريون يستطيعون** تحريك قواتهم مع حلول الظلام وربما لا نشعر بذلك ومع الفجر يشنون هجوما . ويكفي **المصريين بضع ساعات** (وعلى كل حال أقل من ليلة كاملة) لكي يحتلوا تشكيلهم المخندق بكامله في سيناء . ونحن يمكن ان نستيقظ في الصباح فنجد فجأة في سيناء خمس فرق مشاة مصرية ، وربما أيضا الدبابات التابعة لهذه الفرق .

أنا شخصيا تقلقني جدا امكانية حدوث هجوم مصري في خليج السويس ، بما في ذلك حقول النفط . وهذا هدف حيوي استراتيجي واستعراضي جدا ، يغري المصريين ، والدلائل على ذلك كثيرة . بدءا بكلام السادات المتكرر عن النفط في سيناء ، والوجود المصري في جزيرة بريم في البحر الاحمر ، وانتهاء بالاهتمام المصري الغريب بجزر هرمز على مدخل الخليج الفارسي . وعند فتح قناة السويس سينقل المصريون طبعا في الحال قوات بحرية الى خليج السويس والى البحر الاحمر . وفي حال وقوع حرب سيهاجم المصريون على طول الجبهة بقصد اشغال قواتنا في كل مكان ، ولكنهم سيسعون مقدما الى ان يكون مركز ثقلهم في خليج السويس . وهم يستطيعون الوصول الى هناك بقوات مدرعة من سيناء والقدوم من البحر بقوات منقولة بحرا (هنا لا يوجد قوات أمم متحدة) وبمساعدة قوات منقولة جوا تحاول سد جميع الطرق المؤدية الى الخليج والى المنطقة المهاجمة . خليج السويس هو جبهة ، ولكنه أيضا شبه جناح بعيد عن القوة الرئيسية للجيش الاسرائيلي في سيناء . لذلك ، يجب ان نحرص حرصا شديدا على مواصلة تعزيز تشكيلنا البري والبحري في المنطقة وان نضمن بأي ثمن ألا نفاجأ هناك ، او في أي مكان آخر .

ملء فراغ

ماتي جولان

هآرتس ١٩٧٤/١١/١٩

كان أحد النقاشات المحببة لدى مواطني الدولة وزعمائها حتى حرب يوم الغفران ، النقاش الذي بلغ تقريبا أبعاد رياضة قومية ، هو هل يعمل الزمن لصالح اسرائيل أم لغير صالحها . ثم جاءت الحرب وقدمت جوابا لهذا السؤال .

وبعد الحرب عاد هذا السؤال الى مائدة الحكومة ، وان كان على نطاق أضيق ، بعد أن شاع الجدل حول تفضيل مصر او الاردن شريكة أولى في المفاوضات . هل الزمن يعمل لصالح الملك حسين أم لغير صالحه في كفاحه لكسب اعتراف بتمثيل الفلسطينيين ؟ ــ جاء مؤتمر الرباط وأعطى جوابا على هذا السؤال .

لقد بدأ يتشكل انطباع بأنه في الوقت الذي ننهمك نحن بمجادلات أكاديمية تتيح الهرب من القرارات ، ينهمك العرب بتقرير حقائق وخلق واقع ــ وهم يسبقوننا دائما بخطوة الى الامام . أو من زاوية أخرى ، بينما ننتظر نحن دائما السماع من كيسنجر ، يقرر العرب ما سيسمعونه له .

ويبدو أن الفرق الكبير واضح بين السماع وبين الاسماع . فالمسمع يخلق الجو والاسلوب ــ والاساس للاتصالات . بينما السامع ينجر وراء وضع ينبغي عليه فيه أن يقرر مواقفه على هذا الاساس غير المريح .

*

تستطيع حكومة اسرائيل الآن بسهولة ان تغرق من جديد في الموضوع الاردني ، الى الجدل المثير ــ ولكنه عقيم جدا ــ حول الزمن . هل يعمل لصالح عودة الاردن الى الصورة السياسية أم ضدها ؟ ــ يمكن أن تملأ بهذا الجدل جلسات حكومية لا حصر لها ، اذا كان الهدف هو مجرد الجدل .

بيد ان الهدف هو استخلاص نتائج واتخاذ قرارات، يبدو أنه ليس في هذا الموضوع مجال للجدل . ان الزمن ، من الآن فصاعدا ، سيعمل لصالح منظمة التحرير الفلسطينية ولغير صالح الملك حسين . فخلف ياسر عرفات تقف اليوم ، بشكل رسمي وصريح ، مليارات امارات النفط ونفوذها بزعامة الملك فيصل . ويتمتع عرفات بتأيد سياسي لا ينازع من قبل جميع الدول العربية وعلى رأسها مصر . وتدل الاقتراعات في الامم المتحدة وفي مؤسساتها المختلفة أن الاغلبية الساحقة من دول العالم مستعدة لمنحه اعترافا في كل أمر يريده ـ ممثل ، رئيس ، أو مجرد صدّيق وقديس . يجب عليه فقط أن يريد .

ومن يعتقد ان الولايات المتحدة ستواظب طويلا على نغمة « لم يحدث تغير في السياسة تجاه منظمة التحرير » . انما يحلم أحلاما . وبقدر ما كان اعلان الرئيس فورد زلة لسان ، كانت زلة لسان من نوع « وا أسفاه ، لماذا قلت اليوم ما كنت أنوي قوله غدا ؟ » . ومن يعلق آماله على كيسنجر ، يحسن به أن يتذكر ما قاله في حزيران هذا العام في البيت الابيض ، أثناء اجتماع بين زعماء يهود والرئيس نيكسون . فقد أوضح كيسنجر آنذاك أنه لو لم يكن انسانا سياسيا لكان يوصي بحل القضية الفلسطينية قبل كل شيء . وعندما يقول كيسنجر « بحل » لا يعنيه كثيرا مع من يكون الحل . اذا كان يمكن حل ذلك مع الملك حسين ـ فمرحبا . واذا كان ياسر عرفات هو المفتاح الوحيد للحل ـ فان ذلك أقل لطفا وسهولة ، ولكن يجب تجريبه ـ هذه هي طريقة كيسنجر .

لا ينبغي لحكومة اسرائيل أن تعلق آمالها في عرقلة خطوات عرفات ومخططاته لا على فورد ولا على كيسنجر ولا على أي عنصر خارجي . انها لا تستطيع في هذا الصدد أن تعتمد الا على نفسها .

لقد استخلص الملك حسين استنتاجات من قرارات الرباط . فهو يسلخ نفسه عن الضفة الغربية . وان كان يفعل ذلك من خلال الامل بالعودة الى الصورة ، فقد نشأ عمليا وضع جديد في الضفة الغربية : فراغ . ومن يجد في نفسه الجرأة على التقرير والعمل ـ فليملأ هذا الفراغ .

ان الخيار هو بين منظمة التحرير وبين حكومة اسرائيل . ولا شك ان زوال الملك حسين سيعزز ارتباط أهالي الضفة الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وانتظارهم لليوم الذي تستلم فيه المنظمة السلطة الرسمية في المنطقة . مثل هذا التطور لن ينتهي بخلق وضع سياسي جديد ، سيكون له ، بالتأكيد ، أبعاد أيضا على سلوك أهالي الضفة الغربية تجاه اسرائيل ومنظمة التحرير ـ وليس هناك ما يدعو اسرائيل الى توقع الخير من هذه الابعاد .

هناك سبيلان لملء الفراغ ، ليسا بالضرورة متناقضين . الاول تجلى في جلسة الحكومة يوم الجمعة في ٨ تشرين الثاني ، التي انعقدت لسماع تقرير حول المحادثات مع كيسنجر ، الذي كان لا يزال في القدس . فقد عرض وزير السياحة موشى كول خلال المناقشة اقتراحا بفحص كيفية نظر كيسنجر لامكانية منح سكان الضفة الغربية حكما ذاتيا . وقد تم الاتفاق في نهاية الامر على عدم طرح هذا الموضوع أمام كيسنجر ، وانما طرحه على بساط البحث في الحكومة .

ان الفكرة ليست جديدة . فالوزير كول نفسه يدعو لها منذ سنين طويلة . وكان وزير الخارجية يغآل آلون دائما محاميا متحمسا لهذه الفكرة . ولكن في فترة حكم جولدا مئير وموشي ديان لم تجر محاولة جدية في اتجاه الحكم الذاتي أو تشجيع نمو زعامة فلسطينية في الضفة الغربية .

ربما كان على حق أولئك الذين يندبون اليوم ـ وعلى رأسهم يغآل آلون ـ على تضييع فرصة التفاوض مع سكان الضفة الغربية بعد حرب الايام الستة . قد يكونون على حق في ادعائهم بأنه كان لذلك أمل معقول .

ولكن مهما يكن من أمر فان هذا هو جدل أكاديمي ـ تاريخي . وليس لذلك اليوم بالتأكيد أي أمل . لم يكن لذلك أمل بعد التحولات النفسية والسياسية التي حدثت في العالم العربي بعد حرب يوم الغفران . فكيف بعد مؤتمر الرباط ! ان التفكير ، بأنه سيوجد الآن في الضفة الغربية شخصية ، ذات مستوى ، توافق على مجابهة منظمة التحرير ـ أو بالاحرى العالم العربي كله ـ يبدو منتزعا من السياسة الشرق ـ اوسطية التي نعيش فيها اليوم .

ومع ذلك ، يمكن أن نجرب ، بل ربما يجب ان نجرب . ولكن من خلال المعرفة الواقعية للآمال لا يجوز الاكتفاء بهذه المحاولة . اذ لا يمكن أن تعرقل تعميق جذور منظمة التحرير في الضفة الغربية غير عملية سريعة ومتشعبة وحازمة ـ وهذه العملية ، وهي السبيل الثاني، يمكن أن تتم الى جانب السبيل الاول .

ويجب أن يكون هدف السبيل الثاني هو توضيح احتفاظ اسرائيل بالاراضي وتأكيده ـ الى أن يكون هناك من يمكن التفاوض معه . عملية توضح أن اسرائيل لن تسمح بأن تستغل الفترة الانتقالية لتعميق تغلغل منظمة التحرير في الضفة الغربية .

وكما قلت ، عملية متشعبة ، سياسة يد قوية تجاه العناصر المتطرفة والمحرضة . تقديم اسرائيلي لخدمات الكهرباء والماء والغاز . وتدخل فعّال وبنّاء في الصناعة والزراعة .

ومستوطنات . ذلك أن مؤتمر الرباط أسقط الارضية الايديولوجية ضد الاستيطان في منطقة نابلس أيضا . وليس من شأن هذه المستوطنات أن تثقل على الملك حسين في التفاوض مع اسرائيل ـ ذلك أن الملك حسيناً ببساطة ليس موكلا بذلك وهو لا ينوي القيام بذلك . ولا تستطيع المستوطنات أن تمنع حلولا وسطا أقليمية ـ ذلك أنه ليس هناك ، على الاقل من جهة اسرائيل ، من تعقد معه حلول وسط كهذه .

يمكن طبعا ايجاد مسوغات اليوم أيضا ضد الاستيطان . فهو ، مثلا ، يغضب الولايات المتحدة . ولكن ، هل اكترث العرب بهذا المسوغ عندما قرروا ما قرروا في الرباط ؟ وحتى لو كان صحيحا ـ ولا شك أن ذلك صحيح ـ أن اسرائيل مرتبطة بالولايات المتحدة أكثر من ارتباط الدول العربية بها . يجب على حكومةاسرائيل أن تعود للاعتماد على فرضيتين أساسيتين لسياستها :

★ غضب الولايات المتحدة على اسرائيل لا يعني التخلي عنها . فتأييد اسرائيل هو مصلحة سياسية ـ داخلية وسياسية ـ شاملة للادارة في واشنطن .

★ ليست الدول العربية وعلى رأسها مصر مهتمة بحرب في المستقبل القريب . والقاهرة بصورة خاصة مهتمة باستعادة مزيد من الاراضي التي تعلم أنها لا تستطيع الحصول عليها بوسائل عسكرية .

هاتان فرضيتان . الاولى ـ أكيدة ـ ما دام هناك يقين في الحياة السياسية . والثانية ـ أقل وضوحا . ولكن اذا اتضح أن الفرضية الثانية لا تواجه امتحان الواقع ، فانه يفضل أن يكتشف ذلك قبل أن تقلص مساحة الدولة .

المسوغ الآخر الذي يمكن أن يثار ضد الاستيطان يمكن أن يكون الادعاء بأن الاستيطان سيثقل على انسحاب اسرائيل ـ عندما يصبح هناك من تعقد معه اتفاقية . ومن يريد ـ ولا شك أن وزراء مبام والاحرار المستقلين، مثلا ، سيريدون ـ يستطيع الاعتماد على المفاوضات للفصل بين القوات مع سورية . ففي عدد من الحالات أثقل وجود المستوطنات على مد خط الانسحاب . بل لقد أدى ذلك الى انفجار كيسنجر : « تقيمون أولا مستوطنات ثم تدعون أنكم لا تستطيعون الانسحاب بسببها . اذن كفوا عن اقامة المستوطنات . هكذا لا يمكن اجراء مفاوضات » .

ولكن المثال لا يشبه الممثل له . فعندما تكون المفاوضات حول كيلومتر أكثر أو أقل ، يكون للمستوطنات معنى . أما عندما يكون الامر يتعلق بتسوية شاملة وانسحاب شبه شامل ، فليس باستطاعة المستوطنات أن تنسف الاتفاقية .

وازاء المسوغات السلبية ، التي أعتقد أنها لا تواجه امتحانا ، يوجد مزايا . تأكيد وجودنا في الضفة الغربية ، وتوضيح نيتنا عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ليس فقط بالكلام ، وسد أفواه العناصر المتطرفة .

والملك حسين ؟ أنا مقتنع ، حسب تصرفاته وتصريحاته ، بأنه لو سئل ، لغير قصد النشر ، لما كان فقط يوافق ، بل يلح على حكومة اسرائيل أن تقيم عددا من المستوطنات . بهذه الورقة كان يستطيع ان يلوح لزعماء الدول العربية قائلا : أنظروا ما جررتم على أنفسكم في الرباط .

لا شك أن قرارا بهذا الاتجاه ليس سهلا . فهو يتطلب شجاعة وقدرة على مواجهة الضغوط . ولكنه من مستلزمات الواقع الذي نشأ ـ وهذا يجب العودة الى تأكيده ـ لا من قبلنا بل من قبل الدول العربية .

يديعوت أحرونوت

١٩٧٤/١١/١٥

جهاز الاعلام الوحيد

عاموس كينان

ان ظهور ياسر عرفات في الامم المتحدة وخطابه في الجمعية يجب الا يفاجئنا الا من فوجىء بقرارات مؤتمر الرباط . ومن لم يفاجأ يعلم ان دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للظهور في الامم المتحدة ليس سوى اعتراف بحقيقة قائمة .

هناك سبيلان فقط يمكن لاسرائيل ان تنظر بهما الى هذه الحقيقة . السبيل الاول هو ان تعلن ان هذه الحقيقة ليست حقيقة وليست قائمة . وهذا هو السبيل الذي اتبعته اسرائيل دائما وأبدا ، وهذا هو السبيل الذي تسير فيه الآن والذي تستعد ، كما تشير جميع الدلائل ، لمتابعة السير فيه .

ومن أوثق لنا من رئيس الحكومة للاعراب عن موقفنا؟ فهو عندما يقول بأنه لم يبق بعد الآن من نتكلم معه عن تسوية سلمية على الحدود الشرقية : انما يدرك بالتأكيد أيضا انه قال بنفس الروح ليس هناك من نتكلم معه على الحدود الشمالية، وليس هناك من نتكلم معه على الجدود الجنوبية، واذا لم يكن هناك من نتكلم معه فليست هناك

واذا لم تكن هناك مفاوضات فليس هناك سوى الجمود أو الحرب .

وان احتمال الجمود السياسي والعسكري هو أقل من معدوم ، اذ ليس للعالم العربي أي مصلحة في الانتظار . وحتى اذا انتظر العالم ، العربي ، فسيفعل ذلك فقط حتى اللحظة التي يجد نفسه فيها واثقا بتعاظمه المتجدد استعدادا للمجابهة القادمة . وعندئذ لن تستطيع اسرائيل الانتظار ، ومن المحتمل ان تكون اسرائيل هي التي ستكسر الجمود وتشن حربا وقائية .

قد يكون هناك اسرائيليون يحلمون بطبعة ثانية من سويس ١٩٥٦ . تقف اسرائيل في معركة بين العالم الغربي والعالم العربي حامية للعالم الحر، وممولة بالحرارة والنور والراحة للفرنسيين المتجمدين ، وللبريطانيين المرتعدين ، ومنقذة لصناعة السيارات . تنقض أسلحتنا على الكويت من جهة ، وعلى بنغازي من الجهة الثانية . الروس لن يفعلوا شيئا . والصينيون لن يفعلوا شيئا . العالم كله سيكتم أنفاسه ، ويدعنا ببساطة ننتصر انتصارا

ساحقا . تماما كما لم يفعل الروس شيئا في عام ١٩٥٦ سوى أنهم وجهوا انذارا بتخريب تل أبيب .

من المحتمل جدا ان هناك اسرائيليين سيفاجأون جدا حينما يتضح لهم ان المكافأة التي حصلوا عليها لقاء مساعدتهم ، كان رميهم التام والنهائي الى الكلاب . اذ لا يعقل ان يجلس العالم الغربي الى الابد في حقول النفط على رؤوس الحراب . ستكون مصالحة ، وهذا طبعا في حال حدوث انتصار اسرائيلي – غربي وثمن المصالحة سيكون اسرائيل . ولا شك ان صحافتنا ستظهر فيها عندئذ مقالات مريرة جدا حول نكران الجميل ، وكيف تغلبت تركة النفط على تركة الانبياء ، وكيف ان حضارة أبو ظبي أعز على العالم المنافق من شعب التوراة ، وحول الدين الذي تدين لنا به الانسانية ، والكذب الذي يسود العلاقات بين الشعوب . وسينال منتخب اسرائيل بطولة العالم في الماسوشية* .

هناك طبعا،احتمال آخر ايضا وهو : ان تنتهي الحرب على نحو سيء جدا . ولا داعي للمبالغة في التكهنات حول ذلك لان الخيال يثير قشعريرة . وهناك أيضا مجرد احتمال، وهو ان نواجه من جديد بعد الحرب الرهيبة ، التي لا يحسم فيها شيء ، الحقيقة الفلسطينية ، التي تحولت الى رمز لكفاح العالم العربي من أجل الحصول على مكان في الصفوف الجيدة من بلكون الانسانية . ان العرب يريدون مكانا تحت الشمس ، ومن يعتقد انه يستطيع ان يحرمهم من ذلك فليجرب . ان رايتهم في كفاحهم هي الراية الفلسطينية . وبرغم كل ما في الامر من القسوة، هذه حقيقة.

ان حكومة اسرائيل ، واكثر منها الراي العام في اسرائيل ، ليسوا مستعدين للاعتراف بهذه الحقيقة . وعليهم ان يعلموا ان عدم الاعتراف هذا لا يعني سوى شيء واحد ووحيد وهو – الحرب القادمة . ولن يكون للحرب القادمة سوى معنى واحد : لا انتصار ساحق وتوسيع حدود ، بل مسادا** .

وكما ان اسرائيل لا تعترف بالحقيقة الفلسطينية ، كذلك فان الفلسطينيين لا يعترفون بحقيقة اسمها اسرائيل . وقد كان خطاب عرفات تجاهلا لهذه الحقيقة .

هناك اسرائيليون يفرحون بذلك . وبلذة ماسوشية يشيرون الى انه ليس هناك من نتكلم معه ، وكأن ذلك لصالحهم . وكأن اسرائيل ستربح شيئا اذا لم يكن هناك من نتكلم معه ، ويكون ذلك افضل لنا ، ويفهمنا العالم اخيرا ، ويمد لنا يد الاخوة ويعانقنا بمحبة . وبدلا من التدفؤ بالنفط ، يضعون في الموقد خطابات آبا ايبان .

ليست اسرائيل هي الخاسر الرئيسي ، بل هي الخاسر الوحيد من عدم وجود من نتكلم معه . ليس لاسرائيل ما تفقده سوى نفسها ، في حال عدم وجود من نتكلم معه . ربما كان صحيحا ان ذلك جميل وبطولي ، وربما يقوم ذات مرة مسرحي كبير ويكتب دراما مثيرة عن مسادا الثانية ، ولكن ذلك لا يجعل الامر مفيدا .

ان مصلحة اسرائيل هي في ارغام الفلسطينيين على الاعتراف بحقيقة اسرائيل . ولكن السبيل الوحيد الى تحقيق ذلك هو الاعتراف بالحقيقة الفلسطينية . وليس هناك معنى لهذا الاعتراف غير الانضمام الى اعتراف العالم كله بمنظمة التحرير الفلسطينية . لم يبق لدى اسرائيل أي ارنب تستطيع ان تسحبه من قبعتها ، ولا حتى « زعامة معتدلة » في الضفة . لقد اعتاد العرب حينا على الموافقة في كل مرحلة على ما لم يوافقوا عليه في المرحلة السابقة ، وكنا نقول لهم « اين كنتم آنذاك » والآن انقلب الوضع ، ومن يدري ما اذا كان الحكم العسكري لا يوافق اليوم على عقد اجتماع لرؤساء البلديات في الضفة . ومن المشكوك فيه أن يوافق ولو رئيس بلدية صغيرة على الحضور . فقد فات الاوان . أين كنا آنذاك ؟

لارغام الفلسطينيين على الاعتراف بحقيقة اسمها اسرائيل ، يجب أن يوضح لهم أننا مستعدون للاعتراف بأية هيئة فلسطينية تعترف بنا . هذا هو جهاز الاعلام الوحيد الممكن بالنسبة لاسرائيل ، هذه هي الخطوة السياسية الوحيدة ، التي تعيدنا الى الحياة السياسية، لا الى حرب مسادا . واذا فعلنا ذلك فسيجد الفلسطينيون أنفسهم في وضع يجدون من الصعب عليهم أن يجدوا حلفاء لموقف لا يحتمل حلا وسطا ، وليس فيه أي منفذ لمفاوضات مع الخصم ، ويجر العالم كله الى خطر جسيم .

شيء عن العالم : ربما كان العالم شريرا ، ولكنه ليس غبيا . ان العالم لا يحب العرب أكثر مما يحب اليهود . العالم ببساطة يحب الهدوء ولا يحب أن يزعجه أحد . فاذا كانت اسرائيل هي السبب في انتهاك سلام العالم ، فسيكون ضدنا . واذا أصر الفلسطينيون على جر العالم الى دوامة ، رغم انه يعرض عليهم حلا وسطا محترما ، فسيكون العالم ضدهم . ليس العالم فراغا خاليا ، ولا اسرائيل ولا الفلسطينيون يستطيعون العمل وكأن العالم فراغ خال .

لقد نفذت اسرائيل جميع التخفيضات الممكنة في مواقفها التقليدية ، ولم يعد أحد ينفعل بادعاءاتها ، ولا أحد مستعد للقبول بالادعاء القائل بأنه بما أن اليهود قد عانوا ، فليس للفلسطينيين وجود في العالم . ما تستطيع اسرائيل أن تفعله هو العمل باسم مصلحة وجودها من أجل فرض التفاوض على الفلسطينيين .

لقد كان خطاب عرفات خليطا من زيت الزيتون الرخيص والتطرف الذي يتجاهل الحقائق ، مع ورع متباك . تماما كخطابات رؤساء دولتنا طوال جميع السنوات . ان الشبه مفاجيء ومغضب . المساواة في الحقوق التي يعرضها علينا عرفات تشبه الى حد كبير التقدم الذي أتينا به الى الاراضي في احتلالنا الليبرالي والانساني .

اذا لم نكن نحن من يطالب بمفاوضات مع أية هيئة فلسطينية ، مستعدة لتأكيد حقنا في الوجود كدولة مستقلة – فسنكون نحن من يبدأ هذا اليوم بالحرب القادمة.

* الماسوشية هي التلذذ بتعذيب الذات . (المترجم)** مسادا في الاساطير الصهيونية قصة تحكي تفضيل اليهود المحاصرين الانتحار الجماعي على التسليم (المترجم) .

الكيان الصّهيوني في أسبوعين

الكيان الصّهيوني في أسبوعين

١٩٧٤/١١/١٥

يديعوت احرونوت : صرّح كرايسكي بعد عودته من الولايات المتحدة الى فيينا ، بانه لا يوجد اتفاق مع روسيا لاخراج ٦٠ ألف مهاجر في السنة كما انه صرّح أيضا بان الرئيس فورد تفهم طلب النمسا بخصوص اشتراك دول اوروبية اخرى مع النمسا لاعطاء ممر للمهاجرين اليهود من روسيا وعلل ذلك بعدم استطاعة النمسا أخذ كل هذه الامور على عاتقها وخاصة ما يترتب عليها من أخطار .

● من المتوقع ان يرد رئيس الحكومة رابين على طلب الجنرال اريك شارون بخصوص عودته الى الجيش ليتسلم منصبا عاليا بالخدمة الدائمة . وقد برر رابين مواقف عناصر مختلفة في حزب العمل التي رفضت في الماضي عودة شارون ، ووضّح بان مواقف تلك العناصر من شارون ضعفت عقب قرارات الرباط .

هآرتس : صرح وزير الاقتصاد الاسرائيلي : ان أسباب الوضع المتأزم لاتنبع مما يجري في البلاد ، وانما أساسا مما يجري في العالم . بالاضافة الى ذلك ، فان حرب الغفران سببت خسارة في الاقتصاد الوطني لسنة كاملة . وفاقت مصاريف الدفاع ما كانت عليه في الماضي .

● صرح حاييم بارليف : على الهستدروت بأن تغير من موقفها من علاوة الغلاء لانها بهذا الموقف ستجلب خطر البطالة .

. ١٩٧٤/١١/١٦

اذاعة اسرائيل عبري الساعة ١٦,٠٠ :صرح اسحاق رابين في مقابلة مع شبكة الراديو الامريكية وستنكهاوس، بان الاتحاد السوفييتي يلعب بالنار حيث يقوم بتقديم شحنات الاسلحة الحديثة الى الدول العربية ، وخاصة الى سورية .

● اذاعة اسرائيل عبري الساعة ٢٠,٠٠ : ذكر الناطق بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي مساء اليوم ان الجيش وضع في حالة استعداد دائم وذلك في أعقاب التوتر على الحدود السورية . وقال مراسلنا انه لاتوجد اي تغييرات على تواجد القوات السورية على الارض ، ولكن هناك شكوكا معينة من نوايا السوريين .

اذاعة اسرائيل عبري الساعة ١٩,٠٠ لم تمر على اسرائيل ظروف قاسية في الامم المتحدة كهذه الظروف التي تناقش فيها القضية الفلسطينية في الجمعية العمومية للامم المتحدة، حيث ان مثول ياسر عرفات زعيم المخربين في الجمعية لاقى التصفيق والتأييد من قبل معظم الحاضرين وان خطاب عرفات لم يدع مجالا للشك بأن الحل لنزاع الشرق الاوسط يكمن في اقامة دولة فلسطينية في مكان دولة اسرائيل.

. ١٩٧٤/١١/١٧

همودبع : فورد : على اسرائيل ان تقرر فيما اذا كان بودها التفاوض مع منظمة التحرير

● دبلوماسيون في لندن يصرحون : تزويد سلاح سوفييتي بكميات كبيرة الى سورية – سبب اساسي لحالة الاستنفار في اسرائيل .

● خبراء غربيون : اذا كانت اسرائيل تستطيع ضرب سورية – الآن – فان مصر والاردن غير مستعدين حاليا للحرب .

● تكواع : لا يوجد خوف من طرد اسرائيل من الامم المتحدة .

● مظاهرات صاخبة قام بها الطلاب في الضفة . مقتل طالبة اثناء التظاهرات . حرق مطعم للمستوطنين اليهود في كريات اربع (الخليل) . اعتقالات في صفوف مؤيدي منظمة التحرير .

. ١٩٧٤/١١/١٨

عل همشمار : صرح الامير فهد السعودي بأن السعودية لم تعد بتخفيض سعر النفط اذا انسحبت اسرائيل من المناطق المحتلة ، الا ان كل شيء سيكون على مايرام فيما لو انسحبت

همودبع : صرح السناتور ادوارد كيندي عند خروجه من اسرائيل لزيارة الاردن : على الولايات المتحدة ان تستمر بتزويد السلاح لاسرائيل للدفاع عن نفسها . يجب الا نخشى التهديد بقطع النفط وعلينا ان نسعى للسلام، واستعمال القوة للسيطرة على مصادر النفط امر غير حقيقي .

هآرتس : بعد المظاهرات في الضفة بحثت امكانية ، اغلاق جسور الاردن لفترة ما .

همودبع : صرح ديان لدى عودته من الولايات المتحدة . بأن الحرب لاتناسب مصالح العرب. وعلينا ان نكون حذرين بردود فعلنا ازاء المظاهرات في المناطق المحتلة .

١٩ – ١١ – ١٩٧٤

جروزلم بوست : اعتقلت السلطات الاسرائيلية ٢٠٠ طالب عربي في القدس بسبب القيام بمظاهرات ضد الاحتلال الصهيوني .

همودبع : صرح رابين : اسرائيل الآن تمر في وضع من أصعب الظروف التي مرت عليها . وصرح ايضا : مؤتمر الرباط اضعف الامل بالسلام . وبعد خطاب عرفات في الامم المتحدة ، وضحت لكل هؤلاء الذين لهم عيون مفتوحة ماهية التحدي الذي يواجه اسرائيل ومن أين الخطر الذي يهدد وجودها .

دافار : هناك اقتراح في قمة الحكومة لتوسيع الاستيطان بالضفة الغربية ، برامج شاملة بالنسبة لجبل جرزيم ، هذا ما اشار اليه رئيس الحكومة رابين قبل بضعة ايام ، واضاف قائلا ، بانه عقب قرارات الرباط برزت حاجة لوزن السياسة من جديد بالنسبة للضفة . وفي احدى الجلسات الحكومية الجديدة ربما ستبحث قضية الاستيطان ، وخاصة بالنسبة لغور الاردن .

. ٢٠ – ١١ – ١٩٧٤

عل همشمار : سيسكو : الولايات المتحدة ترى بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد لكل التنظيمات الفلسطينية ، كما تعترف بمطلب تمكين الشعب الفلسطيني لكي يعبر عن نفسه .

يديعوت احرونوت : مراسلها في لندن ، على اثر عرض الشريط الذي صور حرق جثث الفدائيين في بيسان : بدأت تصل الى السفارة الاسرائيلية المكالمات الهاتفية التي يحتج فيها اليهود والاسرائيليون في لندن على الرقابة الاسرائيلية التي سمحت باخراج هذا الشريط . وقد اشار المراسل بأن الصور التي ظهرت في الشريط اثارت زعزعة شديدة في نفوس الملايين من المشاهدين وكان يوما أسود للاعلام الاسرائيلي .

الكيان الصّهيوني في أسبوعين

الكيان الصّهيوني في أسبوعين

يديعوت احرونوت : استقال اخيرا شموئيل ميكونس من رئسة الحزب الشيوعي (ماكي) ار اختلاف حول نقاط اساسية تتعلق بالقضية الفلسطينية وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني والانسحاب من المناطق المحتلة.

١٩٧٤/١١/٢٢ .

دافار : بعد نقاش حاد دام اربع ساعات قرر حزب المركز الحر تأييد اقامة حكومة تكتل وطني .

● شباب حزب مبام ضد حكومة تكتل وطني.

● يسعى شباب حزب المفدال (الديني) لاقامة جسم برلماني يشترك فيه ممثلون عن كل فئات الكنيست ، وذلك للمطالبة بحكومة تكتل وطني .

٢٣ – ١١ – ١٩٧٤ .

اذاعة اسرائيل عبري الساعة ١٠ر١٠ : اجتاحت المظاهرات هذا الاسبوع الضفة الغربية والقدس الشرقية . وشملت هذه المظاهرات معظم المدن والقرى في المنطقة وقتلت خلال هذا الاسبوع تلميذة من جنين ، كما اصيب بجراح عدد من المتظاهرات في الجليل بنيران قوات الامن . وطرد خمسة من المحرضين على المظاهرات الى لبنان وسيستعرض مراسلنا ارييه غوس ، احداث الاسبوع في المناطق وفي القدس الشرقية .

صوت المراسل : – التقط ميكرفون الاذاعة هذا الاسبوع أصواتا يمكن تفسيرها بانها تعبير عن الوجهة السياسية لمواطني الضفة الغربية .

صوت المتظاهرين :

الف – الله اكبر

والباء – بيسان عربية .

والجيم – جبهة وطنية

والدال – ديموقراطية

والفاء – كلنا فدائية . كلنا ضد الصهيونية .

٢٤ – ١١ – ١٩٧٤ .

معريب : رؤوساء المباي في حزب العمل ضد حكومة طواريء – هم متاكدون بانهم سيتوصلون الى الاغلبية بانتخابات داخل مؤسسات الحزب .

● نلسون روكفلر : الاسرائيليون يعيشون على ارض العرب والقضية الفلسطينية يجب ان يحلها الاسرائيليون وذلك لانهم يقيمون على ارض استولوا عليها من العرب .

هتسوفيه : وزير الاعلام اهورن يريف ، : الامم المتحدة اعطت شرعية لإبادة اسرائيل ، العرب الثملون بالانتصار يستطيعون المبادرة لكسب قرارات اخرى في الامم المتحدة للضغط علينا . يجب الاسراع باقامة حكومة طواريء .

هموديع : الامم المتحدة – القرار الذي يقول بان العرب وغيرهم الموجودين « تحت الاحتلال الاسرائيلي » من حقهم التعويض عليهم بسبب استغلال مواردهم الطبيعية ووفق عليه باغلبية ٩٥ صوتا ضد ٢ في اللجنة الاقتصادية العامة التابعة للامم المتحدة .

معريب : رفضت منظمة العمل الدولية ارسال بعثة لتقصي الوضع في المناطق المحتلة وذلك بواسطة ضغط البعثة الاسرائيلية وتأييد اسرائيل والمانيا .

٢٥ – ١١ – ١٩٧٤

جروزلم بوست : صرح ميتران زعيم الحزب الاشتراكي في فرنسا انه من الخطأ بان تنكر اسرائيل على الشعب الفلسطيني حقه في وطنه .

● اقرت الحكومة اقامة مناطق صناعية تابعة للقدس في منطقة الجان الاحمر على طريق القدس – اريحا . وتبعد هذه المنطقة ١٤ كيلو مترا عن القدس . واصر وزير الاعلام يريف بان توقيت هذا القرار ليس ردا على قرارات مؤتمر الرباط بشأن منظمة التحرير الفلسطينية .

دافار : وجه انتقاد شديد الى حكومة السويد من قبل اعضاء المعارضة في البرلمان السويدي ، وذلك بسبب موقف الحكومة اللين من منظمة التحرير ، كما انهم اعتبروا هذا الموقف بانه جاءنتيجة لتعلق الحكومة بالنفط العربي .

● تخفيض الليرة والهجرة . قال عوزي نركيس بان ممثلي الوكالة والحكومة يتفحصون الآن وقع تخفيض العملة والغلاء وتحديد الاستيراد على المهاجرين ويجب علينا ان نقول للمهاجرين بانه عليهم مشاركتنا العبء الذي فرضه علينا البرنامج الاقتصادي الجديد .

٢٦ – ١١ – ١٩٧٤ .

جروزلم بوست : وجه حزب المبام انذارا الى حزب العمل يقول فيه انه سوف يترك التجمع العمالي اذا دخل الليكود (التكتل اليميني) الى الحكومة .

● هاجم اعضاء حزب العمل وزير الاعلام اهرون يريف بسبب دعوته لاقامة حكومة تضم الليكود .

هموديع : السيدة فرنسوا جيرو الوزيرة الفرنسية لشؤون النساء تقطع اجتماعها لليونسكو بسبب القرارات التي اتخذتها هذه المنظمة الدولية ضد اسرائيل ، وقبل عشرة ايام اعلن ٣١ من رجال العلم والادب في فرنسا مقاطعتهم لليونسكو احتجاجا على طرد اسرائيل من المنظمة .

هشوفيه : ٦٠٠ مليون دولار هربت من اسرائيل عشية تخفيض الليرة وذلك بالرغم من المراقبة الشديدة على العملة .

٢٧ – ١١ – ١٩٧٤

اذاعة اسرائيل عبري الساعة – ر ٢٠

استقبل الرئيس الفرنسي بعد ظهر اليوم وفدا يمثل يهود فرنسا واستمع الى قلقهم الخطير حيال موقف الدبلوماسية السوفياتية من الشرق الاوسط وضم الوفد الحاخام الرئيسي ليهود فرنسا يعقوب كبلان والقائم باعمال لجنة المؤسسات اليهودية في فرنسا وصرح الاثنان بان الرئيس الفرسي استمع الى ما قالوه بكل اهتمام وتفهم واكدا عليه ان يعلن ان حل النزاع في الشرق الاوسط مرتبط باعتراف الدول العربية بدولة اسرائيل .

٢٨ – ١١ – ١٩٧٤ .

اذاعة اسرائيل عبري الساعة ٠٠ر٢١

● قال مساء اليوم وزير المالية يهوشع رابينوبيتش بأن المرحلة القادمة في المشروع الاقتصادي ستكون مرتبطة بتغيرات جوهرية وذلك في اسلوب الاقتصاد وسيوجه في معظمه لتقليص العجز في ميزان المدفوعات ومن شأن هذا العجز ان يصل في هذا العام الى ثلاث مليارات ونصف المليار دولار . هذا وكان وزير المالية يتحدث في مركز حزب العمل الذي اجتمع مساء اليوم لبحث المشروع الاقتصادي الجديد

وقال وزير الصناعة والتجارة حاييم بارليف في الاجتماع بان وضع الاقتصاد الخطير يلزم بتدبيرات جديدة في ماهية مخصصات علاوة الغلاء وكذلك في الخسائر وفي تأجيل القروض الى المستهلكين .

١٩٧٤/١١/٢٩ .

● اذاعة اسرائيل عبري الساعة ٤٠ر١٠ : قال وزير الدولة البريطانية ، ان بريطانيا ستعترف بحكومة فلسطينية في المهجر اذا حلت النزاعات المتواجدة بين المخربين انفسهم.

الأرض

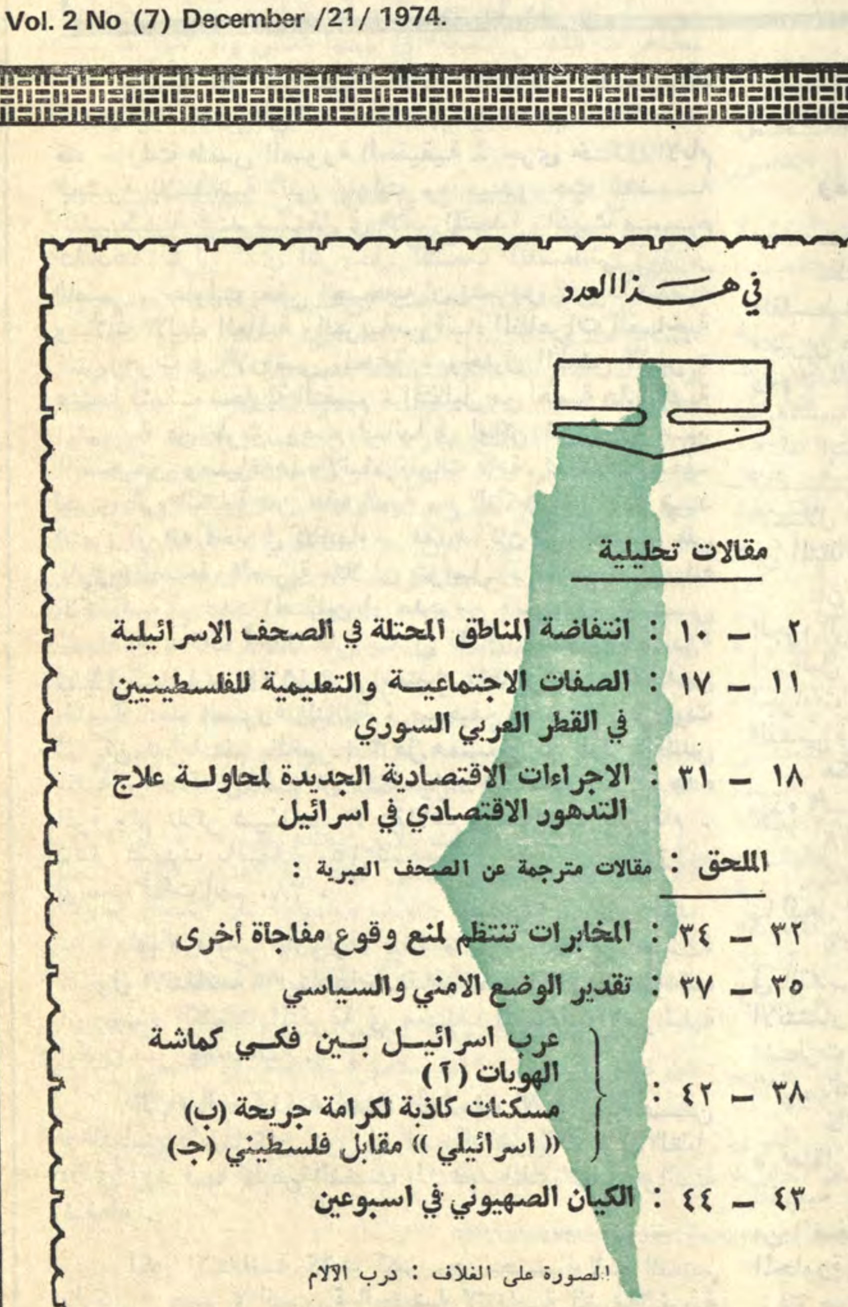
نشرة تحليلية نصف شهرية تصدر عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية

AL-ARD A Bi-weekly Analytical Bulletin Published by(A.I.P.S)

السنة الثانية العدد (٧) ١٩٧٤/١٢/٢١ .

Vol. 2 No (7) December /21/ 1974.

بمناسبة اعياد الاضحى والميلاد تقدم مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية الى قرائها الكرام أصدق التمنيات والتبريكات . راجية ان تعود هذه المواسم على الامة العربية وهي ترفل بالتقدم والنصر .



في هذا العدد

مقالات تحليلية

٢ – ١٠ : انتفاضة المناطق المحتلة في الصحف الاسرائيلية

١١ – ١٧ : الصفات الاجتماعية والتعليمية للفلسطينيين في القطر العربي السوري

١٨ – ٣١ : الاجراءات الاقتصادية الجديدة لمحاولة علاج التدهور الاقتصادي في اسرائيل

الملحق : مقالات مترجمة عن الصحف العبرية :

٣٢ – ٣٤ : المخابرات تنتظم لمنع وقوع مفاجأة أخرى

٣٥ – ٣٧ : تقدير الوضع الامني والسياسي

٣٨ – ٤٢ : عرب اسرائيل بين فكي كماشة الهويات (آ) / مسكنات كاذبة لكرامة جريحة (ب) / « اسرائيلي » مقابل فلسطيني (ج)

٤٣ – ٤٤ : الكيان الصهيوني في اسبوعين

الصورة على الغلاف : درب الآلام

مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية
ص.ب. ٣٣٩٢
دمشق
الجمهورية العربية السورية
هاتف : ٥٥١٠٨٧
٥٥١٣٩٨
برقياً : الارض

AL-ARD Institute For Palestine Studies
P.o. Box 3392
Damascus - S. A. R.
Tel. : 551087 / 551398
Cable : ARD